اسباب ونتايج

— واخلاق ومواعظ —

لفاضل مصرى

(جمعها وطبعها على نفقته لتعميم نفعها)

محمد على كامل

صاحب مطبعة

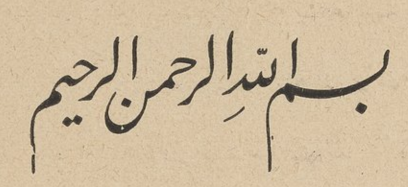
و

مكتبة الترقي

— بالموسكى بجوار محل سوسمان الساعاتى —

بمدخل سوق الخضار القديم بمصر

سنة ١٣١٦ - ١٨٩٨



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وصلاة وسلاما على معلم الخير والمبعوث لتتميم مكارم الاخلاق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ أما بعد ﴾ فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » وقال عز من قائل : « ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم »

ولا يجهل واحد منا ما ناله اسلافنا من العزة والسؤدد وسعة الملك وقوة السلطان والتقدم فى المعارف والصنائع . وما كانوا عليه من الكمالات والفضائل وما نحن عليه اليوم من عكس ذلك كله . ونص الكتاب شاهد بان تغيير احوال الاقوام والامم منشوءه تغيير ما فى نفوسهم . والعقل السليم والعلم الصحيح مؤيدان للكتاب الكريم فى ذلك

فالنفوس المزينة بالمعارف الحقة المزكات بالسجايا الفاضلة يكون من

آثارها الرقي في معارج الكمالات الانسانية وبلوغ غايات ما اعد الله له بنى آدم من المدنيـة الصحيحة . والنفوس المجردة من حلى الفضائل العارية من حلل المعارف تهبط بذويها الى اسفل دركات الحيوانيـة وتجعلهم عالة على غيرهم فى كل شؤنهم . بل تحرمهم من المزايا الانسانية وتسلط عليهـم من يسومهم سوء العـذاب ويستعملهم كما تستعمل الآلات الصامتة او الدواب . وكل هذا مشاهد بالعيان لا ينكره من له عينان

وقد تجهل النفوس الحقائق الظاهرة لاعراضها عن النظر فيها وينشأ هذا الاعراض عن عدم الشعور بالحاجة الى النظر في الحقيقة او لحجاب يحول دونها . لذلك مست الحاجة الى المرشدين والمنبهين وقد قال تعالى :

« ولتكن منكم امة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » يدعون الى الخير

ولما اطلعت على تلك المقالات المؤثرة التى نشرت بجريدة المؤيد الزهراء في عامى ١٨٩٦ و ١٨٩٧ تحت عنوانى « اخلاق ومواعظ » و « اسباب ونتائج » وحقق لى المشاهد المحسوس ان حضرة كاتبها الفاضل هو احسن من وصف منا الداء ونبهنا الي حقيقة الدواء تمنيت ان لو جمعت مقالاته وطبعت في كتاب على حدتها تعميما لنفعها وتيسيرا لاقتنائها

تمنيت ذلك ثم اخذت فى انفاذ مشروع علمى تجارى كان يتردد في النفس من بضع سنين ولكن لم يكن ليخرج — والحق اقول — من عالم التخيل والفكر الى عالم الاجراء والفعل لولا اطلاعى على تلك الآراء السديدة والاقوال الحقة الصادقة : وخير الاقوال ما ارشد الى النافع من الاعمال

وحيث كنت اول منتفع بأفكار ذلك العالم الفاضل المتوقد غيرة علي مصلحة بلاده حالا واستقبالا وقد آن لى ان احقق بنفسى امنيتى الاولى فهاانا اقـدم لك نبذ « اسباب و نتائج » و« اخلاق ومواعظ » مجموعة ومطبوعة على حدتها كما تحب وترضى

هذه هى باكورة منشوراتي فى كل ما يرقي الامة حساً ومعنى وما يصل بافرادها الى اوج السعادة الحقيقية معاشا ومعادا — اقدمها لك ياأخى ! ياشريكى في السرآء والضرآء ! يامن يؤمل فيه كل الخير لنفسه ولبلاده اذا هو فتح من نفسه العين ونظر وتبصر في حاله ومآله هو وذراريه من بعده فاتعظ بالعظات واعتبر بمؤثرات الحوادث فعلم العلم الصحيح ثم عمل العمل الصالح النافع متذكرا على الدوام قول احكم الحاكمين : " من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها " « ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » « وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى »

اسباب ونتائج

لاحد افاضل الكتاب المصريين في كل عام جولة قلم تبحث فى اهم المواضيع الاجتماعيه للامة واخلاقها بعنوان مخصوص يشتهر فى المؤيد اشتهار الشمس فى رابعة النهار · وقد اختار حضرته الكتابة هذا العام تحت العنوان السابق (اسباب ونتائج) فيما يريد ان يكتب من المواضيع النافعة والارشادات الحقة للامه · وهذه أولى رسائله المختصرة المفيدة

قال حضرة الكاتب المفضال :

يشرح المؤرخ اطوار امة في زمن من عمرها بتعريف اخلاقها وعوائدها ونظاماتها وتربيتها ووسائل معيشتها وحالتيها الاقتصادية والسياسية داخلا وخارجا وما هي عليه من درجة الافكار والعلوم والآداب والفنون ويبين في خلال ذلك ما طرأ عليها من الحوادث المهمة حتي يخيل للقاري مع ذلك البيان والشرح والتعريف المفيد انه كان عائشا في وسط أهلها وقد لا يعتنى الا قليلا بسرد الحوادث كما يفعله مؤرخونا باجلائها امام اعين القراء كما يجلى الرجل صاحب (صندوق الدنيا) العجائب والغرائب امام ابصار الطفل وهي تكاد تزوغ من الدهشة والاستغراب

وبهذه الطريقة صار التاريخ من اهم العلوم التي موضوعها الانسان الاجتماعى

وكما يفعل المؤرخ فى الماضى يفعل الكتاب المشتغلون بالاحوال العمومية في الحال فيدرسون زمانهم درسا تاما ويقفون على كيفية ارتباط حالهم بماضيهم واخلاقهم وعوائدهم ومعتقداتهم وسياستهم حتي يتبين لهم ما هم عليه بكيفية لا تقبل الشك ان هذه الامور انما هي العلل التي انتجت تلك الحالة وان تغييرها لا يكون بالصدفة وانما هو بتغيير يحدث في تلك العوامل المؤثرة اذ السبب والمسبب دائما متلازمان عقلا وعادة متي وجد احدهما وجد الآخر حتما

وهذا نظام المولى سبحانه وتعالى في العالم كله فليس في الكون شيء وجد بلا موجد وسبب واضح اوخفي معروف الآن او يكشفه المستقبل

وهذا القانون الالهى وان كان لا يظهر بوضوح تام في علوم الهيئة الاجتماعية كما هو ظاهر في العلوم الطبيعية . اولا لان معارفنا المختصة بالمجتمع الانسانى هي في الحقيقة في اول نشأتها وعلى حداثة عهدها . وثانيا لان الحادثة الاجتماعية لا تتكون من سبب واحد بل يشترك في مقدماتها عدة اسباب متنوعه . وثالثا لانها تظهر دائما انها تحت ارادتنا وان لنا سلطة فى ايجادها واعدامها وتعديلها . ولكن يكون من الخطأ الجسيم ان نعتقد ان الجسم الاجتماعى ليس خاضعا لذلك القانون العام كغيره

وآية « ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم » هي اساس لذلك القانون وبها يظهر للقارى كيف توافقت شريعتنا مع العلم في هذه القضية كما تتفق معه دائما لو كان القائمون بشؤنها رجال اكفاء يخدمونها

بجد و يفهمونها باصابة ادراك

على ان حالة الامة فى السعادة والشقاء او التقدم والتأخر ليست حالة توجد او تتغير بحكم الصدفة بل انها نتيجة لازمة لا تتغير الا اذا تغير ما بنفس تلك الامة

فان كانت امة نشيطة مترببة متمدنة كان لها الحظ في الدنيا وان كانت كسولة جاهلة ذات اخلاق رديئة كان لها الشقاء فيها

والحالة الاجتماعية متى عرف كيف وجدت يعرف كيف تزول فهى لا تتغير ابدا الا بحال آخر . بمعنى ان ارادة شخص او مائة شخص او اصدار قانون او مائة قانون كل ذلك لا يؤثر فيها بشيء محسوس

وعليه فاذا اراد من يهمهم اصلاح حال امتنا من رجال الحكومة وابنائها الذين يفتكرون فى الطرق اللازمة لاخراجها من حالها ونقلها الى حال آخر ان يفعلوا شيئا نافعا : فعليهم ان يكشفوا لها الستار عن عيوبها جميعها مهما كانت مرة المذاق او مخجلة وان يربوها على التجمل بالعوائد الحسنة ان لم يكن بالتأثير على معاصريهم فعلى ذراريهم من بعدهم

ولذلك شرعت فى هـذا العمل باحثا عن حالتنا الحاضرة لا من جهة السياسة فاني لست مشتغلا بها الا من حيث كوني مصريا احب الوقوف على الحوادث التي تجرى فى وطني . وللسياسة الآن رجال قائمون والحمد لله بخدمتها واستخدامها اكثر مما يحتاج اليه الحال . بل من الجهات الاخرى كالمعيشة الاقتصادية والتربية والعوائد والدين

والغرض الوحيد الذى اسعي وراءه انمـا هو الوصول الى الحقيقة لانها وحدها هي التى تحتوى على البذور الجيدة التي تنمو وتثمر

(السائح)

١

(الحالة الاقتصادية في مصر)

« اعطني مالية حسنة اعطك سياسة حسنة »

تقول العامة « ان مصر ام الدنيا » والاصح اذا قورن بينها و بين مدن الممالك الاخرى مثل لندره و باريس وهامبرج و بروكسيل وامثالها ان تسمى « خادمة الدنيا » لانها لو وضعت في جانب هاته المدن لظهرت فى حالة فقر محزنة كما لو وضعت سائلة مكدية ذات اطمار بالية قذرة في جانب عروس متجلية بافخر الملابس واثمن الحلى وابهاها

وفى الحقيقة ان مصر بلدة فقيرة جدا نصف اهلها وهم الفلاحون يعيشون بالشيء التافه الذى يقي الحى من الموت جوعا . والنصف الآخر ينقسم الى قسمين . الاول يشمل التجار والصناع وهؤلاء ليس فيهم شخص واحد يقال عنه انه مالي ملي" . والآخر يحتوي على الموظفين وارباب المعاشات وهم الطبقـة المتظاهرة بحالة اليسار نوعا ما في معيشتهم . ولكن اغلبهم ان حيل بينه و بين مرتب المعاش شهرا واحد وقعوا في العسرة والضنك الشديد

اما ارباب الاطيان من الذوات والعمـد والمشائخ والاعيان في

البلاد فحالهم كحال « رابيل » المؤلف الفرنساوى المشهور اذ قال في وصيته « انى لا املك شيأ وعلىّ ديون كثيرة واوصى ببقية ما املك للفقراء »

والبلد التي يكون اهلها فقراء مثلنا لا يمكنها مادام فقرها ان تؤمل خيرا في المستقبل لان حياة كل مملكة مرتبطة بماليتها اذ بالمال يتم كل شيء و بغير المال لا يتم شئ مطلقا

والمملكة لا تكون غنية الا اذا كان اهلها اغنياء ولذلك قال احد السواس المشهورين : اعطني مالية حسنة اعطك سياسة حسنة

وعلى هذه القاعدة وجهت كل امم اوروپا التفاتها الى المسائل الاقتصادية واعتنائها بها كل الاعتناء فانشأت نظارة للتجارة وللصناعة وللمستعمرات واكثرت من انشاء المدارس التجارية والصناعية وتهافتت على وسائل الاستعمار . وصارت كل أمة تزاحم الاخرى في هذا السبيل . والتنافس بينها فيه شديد بالغ حد الكفاح والجهاد : فلا تتأخر واحدة منهن عن بذل المال والروح فى توسيع دائرة تجارتها وفتح الابواب لتصريف مصنوعاتها حتى ان رجال السياسة صاروا يعتبرون انه لا بد من الحرب يوما ما بين انكلترا والمانيا لان المنافسة بين الامتين في جميع انحاء الدنيا اوصلتهما الى درجة اعتقاد ان احداهما لا يمكن ان تستمر في طريقها الا اذا سحقت الاخرى

ونحن معاشر المصريين لا شغل لنا تلقاء كل ذلك الا الاشراف

على ميدان هذا التنافس للتفرج على المتنافسين والاعجاب بهذه الامة والاستهزاء بتلك . كأننا عالم من كوكب آخر حضرنا الى هذه الدنيا للتفرج على اهليها اياما معدودة ثم العودة الى اوطاننا بعد ذلك بسلام

والحقيقة اننا نحن موضوع تنازعهن وسبب مشاكلهن . نحن اللقمة الدسمة التي يريد كل منها ان يبتلعها في جوفه

وبمثل تلك المساعي المتقدمة توصلت الامم الى اقتناء الثروة وكثر فيها الاغنياء والماليون الذين اصبحوا يتعاملون بالملايين كما نحن نتعامل بالعشرات والمئات

ولكن الشيء المهم الذي ارجوا ملاحظته هو ان كل ثروة من هذه الثروات الهائلة هي نتيجة عمل صاحبها : ترى الرجل مثلا في امريكا يبتدئ فى تجارة او صناعة حقيرة فيصل بعد بضع سنين الى مصاف الماليين الذين يحرزون الملايين . فلماذا ؟ — لانه يشتغل ليكسب فالواحد منهم يشتغل دائما . يشتغل بالنهار ويفكر فى شغله بالليل . وهو قد تربى على ان يشتغل . وتربى على ان يعتمد على نفسه « وان ليس للانسان الا ماسعي وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » . فالتربية والعادة قد اوجدتا فيه الاقدام على الشغل والعمل . فهو يتفكر في كل شيء ويلاحظ كل شيء ويجرب كل شيء . فان وصل فاز وشجعه النجاح على الاستمرار . وان خاب ووجد فى طريقه عقبة ولم يستطع ازالتها بهمته استأنف السعي في عمل آخر او فى نفس العمل من طريق

آخر. فهو على كل حال حى ثابت عامل . جسمه يتحرك ومخه يؤدى وظيفته كأنه آلة متى غادر سرير نومه في الصباح ادار دولابها فتدور وتستمر دائرة الى وقت لا مناص فيه عن الراحة بالنوم

وعلى العكس من ذلك الواحد منا معاشر المصريين — او الشرقيين كافة — فهو كالبرذون الذى يعلق في الساقية يمشى الهوينا خطوة فخطوة وعلى عينيه غماء . وقد يقف بعد كل خطوة حتي يسمع صوت الفرقلة فيجاهد نفسه بخطوة ثم يقف . وهكذا حتي المساء حيث يقدم له علفه فيأكله طيبا او رديئا ثم يهوى بجسمه كالشبح المرضوض على الارض فينام تعبا كسولا بل مكسرا مهشما حتى الصباح

(السائح)

—✵ اسباب ونتائج ✵—

٣

« الاستقلال في المعيشة قبل كل الاستقلال »

ان اول شيء يجب على كل فرد من افراد اى امة ان يكد في طريقة تضمن له معيشته ان لم يكن بعمل يعود نفعه على الهيئة الاجتماعية فعلى الاقل لا يعود منه ضرر عليها . لان امر معيشة الانسان هو فى مقدمة كل احتياجاته .

فعلى كل نفس تحترم ذاتها متي كانت قادرة على الكسب ان تكون مستقلة غير محتاجة للغير تكفل نفسها بعملها . ولا يباح لها مطلقا ان

تكون عالة على غيرها

ولكن من الاسف نحن نرى في مصرنا عددا غير قليل من اهليها عائشين بكيفية تأباها كل طبيعة شريفة فقد لا يخلو بيت من وجود شاب او رجل بلغ الاشد او كهل ذى اعصاب قوية وقامة قويمة مقيم فيه آكلا شاربا بحجة انه قريب لصاحب المنزل او صاحبته

وربما كان هذا الرجل مستخدما فرفت فلا يلبث ان يحتل دار احد اقاربه احتلالا ابديا يأوى اليها ويأكل منها ويمضى اكثر اوقاته فى النوم . واذا لم يكن نائما تراه جالسا على كرسى امام الباب اوعلى حانوت او قهوة مجاورة له وفي الغالب تكون فى يده سبحة يحرك حباتها بأنامله . وقد يذهب الى الجامع في اوقات الصلاة ان كان من الاصل صالحا او طالحا وأناب الى الله مؤقتا بعد رفته حيث يستمر كذلك الى ان يعود الى الخدمة فيعود الى فسوقه

ويعيش على هذه الحال الايام والشهور والسنين بلا سعى ولا عمل ولا حركة . واذا تحرك وسعي يوما ما فقصارى جهده ان يذهب الى احد دواوين الحكومة ليستعطف رؤساء المصالح ان يذكروا اسمه عند خدمة تقوته ويعيش بها

ومركزه في المنزل الذى يأويه مركز حرج فلا هو سيد ولا هو خادم وهو فى الحقيقة ممقوت من الاثنين وناقم عليهما حيث يخيل له ان قريبه قد مل مقامه عنده وصار يلحظه شذرا او يغض عنه النظر اولا

يعطيه ما يكفيه من الدخان او لا يفتكره بخمسة قروش فى اليوم · وان الخادم يعامله بالخشونة او لا يسمع كلامه كثيرا او يسخر منه ويزدري به من طرف خفى · وهكذا

واذا خلا بصاحب له يقول له ماذا اصنع يااخى فى هـذا الوقت الصعب والحكومة اقفلت ابوابها فى وجوه ابنائها

ماذاتصنع ؟ اذا انت اصغيت لنداء ضميرك فاصنع كل شيء :
كن تاجرا · كن مزارعا · كن صانعا · كن خادما · كن كيفما تستطيع ان تكون · فانه احسن لك وللناس مما انت فيه

هب ان الحكومة قررت ان لا تأخذ من الآن موظفا مصريا فهل يموت المصريون جوعا ؟

الا تنظر كيف يصنع الاجنبى · ولا اتكلم عن الانكليز فى بلادنا فان لهؤلاء نفوذا ظاهرا · ولكن اتكلم عن الرومى والارمني والسوري والهندى والعجمى والطليانى وامثالهم

انت تعلم ان الفرد من هؤلاء يأتى خالى الوفاض صفر اليدين فيبتدىء شغله بحرفة صغيرة مهما كانت دنيئة هي اشرف من البطالة التى هي حرفة الكثير من المصريين · وهو اذا ربح اليوم قليلا قليلا فقد ينمو وتزداد ثروته بعد ذلك حتي يصل الي اعلا درجات الثروة · وانت ايها المصرى البطال ابن البلاد وادرى بما فيها ولك فيها القريب والحبيب فلماذا لا تفعل كما يفعل الغرباء النازحون الي بلادنا ؟

انا لا اجهل ان للانسان على الانسان وخصوصا على القريب حقوقا مقدسة وان مساعدة ذوى القربا واجب ديني واجتماعى ولكن ليس من الواجب بل ولا من البر مساعدة الكسلان والتشجيع على البطالة انما البر عند الاحتياج الحقيقى وهو يكون اذا وجد المانع عن الاحتراف والتكسب

اما مساعدة الشخص القادر على العمل فيجوز ان تكون وقتية لعذر طارىء ويجوز ان تكون لتحسين حالة شخص يكسب قليلا . ولكن من العبث ان يقوم شخص بجميع حاجات شخص آخر . ومن العار على هذا ان يقبل مثل هذه المعيشة وان لا يرضى بحال كل حرفة مهما كانت منحطة فى اعين الناس فلا يمكن ان تكون احط منها

ولهذا اتمنى قبل كل شيء ان ارى يوما جميع اهل بلادى مستقلين فى معيشتهم يعيش كل فرد منهم بنفسه

(السائح)

اسباب ونتائج

٣

(اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا)

اجزل وصية نطق بها الانسان للانسان « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

ونحن نقتصر على الوصية الذهبية الاولى لان المصريين اصبحوا

في خمود اشبه بالموت . فهم الآن اعوز الى التذكير بالحياة منهم بالموت

من البديهى ان الانسان لا يشتغل ليعيش فقط عيشة الكفاف لانه لو كان هذا داعى الفطرة البشرية لما كان التنافس في المزيد . فعلى الانسان ان يسعى والحالة هذه لتحسين حالتيه المادية والادبية . فان كان يكسب في اليوم قرشين فعليه ان يجتهد فى توصيلهما الى خمسة ثم الى عشرة وهكذا . اما المحافظة على حالة معيشة دنيئة فذلك امر لا يرضاه الا قليل الحيلة قليل العقل قليل الشعور بمزية الحياة الطيبة ان لم يكن عديمه بالمرة

ومن الاسف اننا قد وصلنا بالخمول الذى حافظنا عليه في المعيشة الى حدود السكون فالموت :

سر يوما بين الاسواق المصرية القديمة تجدها كما كانت قبل الطوفان حقيرة غير منظمة . لا تحرز الا نوعا او نوعين من اصناف البضائع العتيقة المهجورة الاستعمال . وتشاهد صاحب الدكان يجلس من الصباح الى المساء في شرب الدخان ومطاردة الذباب عائشا عيشة بهيمية لا يتخللها تصور ولا فكر الا اذا كان وقيعة بالغيبة والنميمة في حق جاره

ان حضرت اليه امرأة اجلسها بجانبه واخذ يجاذبها اطراف الحديث ساعة او ساعتين . وان حضر له رجل اجلسه وامر له بالقهوة . ومن

بعد التحيات والسلام والاكرام يتبادلان الاخذ والعطاء فالمناقشة فالجدال والنزاع كخصمين لدودين فالايمان الكاذبة . ثم ينتهى الحال على ان يبيع قطعة او قطعتين كل النهار فيربح قرشا او قرشين

نترك هؤلاء وننظر الى طائفة اخرى من ارباب الاشغال العقليه فنري هذا الطبيب او ذاك المهندس مستخدما في الحكومة بمرتب قليل نحو خمسة او عشرة جنيهات فى الشهر يعيش بها هو واولاده وزوجته وفى الغالب انه يعول واحد او اثنين من اقاربه . فاذا خرج من ديوانه اوفرغ من اداء وظيفته الذى لا يستغرق الا سويعات من نهار قضى بقية اوقاته في الزيارات والقهاوى

فهلا خطر ببال ذلك التاجر او هذا الطبيب او المهندس وامثالهم ان يخرجوا من هذه الحالة الدنيئة وان يزيدوا في اعمالهم فيزيدوا في جني ثمراتها

وليس الغرض من تحسين الحال على هذه الطريقة ان يجمع الانسان المال حبا فى المال بل المراد ان يكون عند كل واحد طموح شريف الي العلاء . ولا يكون له ذلك الا اذا سعي في استزادة موارد كسبه ليتسنى له ان يحسن غذاءه وملبسه ومسكنه وان يستعمل ما يزيد بعد ذلك عن حاجاته المادية في ترقية عقله وتربية اولاده بالرياضة والتعليم والسياحة . وان يأتى من الافعال النافعة لهيئة المجتمع ما يغبط غيره على فعله

ولا تحسبن ان المانع من اهتمام المصرى بترقية شأنه قناعة في النفس و زهد فى الاموال ورغبة عن زخارف الدنيا . لانه لو كان الامر كذلك ما وجد مصرى حاسدا غيره على نعمته ولا ناظرا لذى غنى نظرا شذرا . والمصريون كلهم بين شاك ومشكو من هذا الحال فالمصرى اذن طماع كغيره وليس عنده من الزهد ماليس لغيره ولكنه مع ذلك لا يحب الشغل ولا ينشط لعمل فيه رزقه

فهو اذن يحب ان تمطره السماء ذهبا وان تنبته الارض فضة . يحب ان يكون اغنى الناس على شرط ان لا يتعب جسمه ولا يجهد فكره

والسبب في سقوطه هذا امران : الاول سوء معاملة الحكومات السابقة له فانها بغدرها وظلمها اضاعت الامانة والثقة اللتين بدونهما لا تظهر الابتكارات الشخصية ففقد المصريون بذلك ملكة الاقدام على العمل والمخاطرة في الشغل . والثانى سوء تربيته فان عدم تشغيل الجسم وتحريك الاعضاء والجلوس ساعات بل واياما على المقاعد والمراتب والمصاطب وعدم التعود على استعمال وظيفة المخ وترك النظر فى الاشياء مع شدة التمسك بالاقوال والامثال المثبطة للهمم المميتة للعزائم وتكرار سماع القصص والاحاديث التى وضعت فى الاصل لتسلية الفقير وازالة الاحزان عن الضعفاء قليلى الحول والحيلة ولكن غشيتنا جهالتنا والفيناها قد اتفقت مع كسلنا وخمولنا فنشرناها وروجناها وحشيناها ووشيناها حتى تشربت بها ارواحنا وعقولنا . كل ذلك قد انتهى مع

الزمن وبتاثير الوراثة الى اضعاف قوانا شيأ فشيأ . فاذا نادينا يوما اعضاءنا وطلبنا منها حركة مهمة ولو كانت صغيرة خانتنا فلا تسمع نداءنا واذا سمعت واردنا الاستعانة بافكارنا وهنت فطاش سهمنا . وعلى كل حال فلا نلبث ان نشعر ونحس بعجز انفسنا فلا نجد لنا ملجأ الا الراحة التى اعتدنا عليها وبئس المصير

وهذا هو السر في ان جميع الاعمال القليلة التى شرعنا فيها كتأسيس مدرسة او انشاء جمعية او تشكيل ناد اوعقد شركة لم تعش الا بقدر ما تعيش الوردة

« السائح »

—⁂ اسباب ونتائج ⁂—

٦

(لماذا لا يوجد فى مصر اغنياء)

كان المصريون الي عهد غير بعيد ينظرون الاتجار بعين الاحتقار ويحسبون انها مهنة مهينة لا تتفق مع الشرف والاعتبار . والي الآن لا يزال هذا الزعم منبسطا على عقول بعض الامراء والذوات الذين متى توشحوا الكساوى الموشاة بالذهب ووضعوا النشانات على صدورهم وعلقوا في مناطقهم السيوف تجر على جوانبهم الى الارض تخيلوا انهم من انسانية اخرى اعلا من انسانية هؤلاء التجار الذين يشتغلون بايديهم ويباشرون بانفسهم حل وعقد البضائع ويقفون فى حوانيتهم باشين فى

وجوه الوافدين منتظرين ان يطلبوا منهم شيئا فيحضروه بين ايديهم في الحال . وهم يرون كل خدمة غير اميرية وكل حرفة حرة وكل عمل لا يتعلق بالحكومة هي اشياء لا يليق الاشتغال بها

ولهذا كله لم يشتغل منا حتى الآن بالتجارة الا فئة قليلة برهنت على ارادة واقدام واصالة رأى تستحق عليها ثناء الامة المصرية باسرها

ولو قارن اى انسان لم يعمه الجهل بين هؤلاء التجار الذين دخلوا في ميدان الحياة والقوا بانفسهم في معامع الكفاح والتنازع حتى خرجوا منها فائزين . وبين اولئك الذين منبع ثروتهم فى الاغلب العطايا والمنح التي كانت تمطر عليهم بسبب كلمة وافقت المزاج او لسبب خدمة خصوصية او خلق مقبول او رذيلة محبوبة . لرأى اى فريق يحق له ان يعجب بنفسه او يحتقره الآخر

وقد مرت على اوربا ازمان كان فيها امراء البلاد متى قدم لهم رجل يسألونه : ابن من انت ؟ ؟ . ثم اتى حين بعد ذلك كانوا يسألونه فيه : ماذا تصنع ؟ ؟ . والآن لا يسألون الا عن قيمة الشخص فى حد ذاته من حيث مبادئه واعماله

ونحن لا نزال على شيء كثير من تلك الاوهام والوساوس القديمة متعلقين باهداب خدمة الحكومة معتبرين انها اشرف مطمح

وانا اخاطب اليوم كل اب لابن واسأله ماذا يقصد من تعليم ابنه

فاذا قال انه يريد ان يهيئه لخدمة الحكومة فقط لكى ينال الشرف والرتب والوسامات مثله فليس لى معه كلام . واما اذا كان ممن يحسبون ان خدمة الحكومة هي الطريق الذى يضمن مستقبل ولده فليعلم انه مخطىء خطا فاحشا

ولست محتاجا قبل كل شيء ان اذكره بان زمن العطايا قد انقضى بل يكفى ان اثبت له ان قد صار من المستحيل اليوم ان يصل الانسان من طريق الحكومة — لا الى الثروة حيث الامر واضح جلى لا يحتاج الى دليل — بل الى درجة من اليسر الذى بدونه لا يمكن الانسان فى وقتنا الحاضر ان يقوم بجميع حاجاته

ولتوضيح ذلك نضرب للقاريء مثلا

خرج الشاب من مدرسة الطب وفي يده شهادته فاذا اراد ان يستخدم فى الحكومة عينته حكيما لاحد المراكز ولكن بعد انتظار سنة على الاقل بمرتب متوسطه سبعة جنيهات . ثم ان كان له حظ بعد ذلك — وهيهات هـذا الحظ — ترقى كل ثلاث سنوات مرة باضافة جنيه او جنيهين على مرتبه

فان وصل مرتبه بعد عشرين سنة الي عشرين جنيها مثلا كان محسودا من جميع اقرانه

ولا يختلف مستقبله عن مثل ذلك ان كان مهندسا او متشرعا او كاتبا او معاونا الخ

هذا اذا استمر فى وظيفته كل هذه المدة ولم يرفت بالاستغناء او مجلس التأديب . اما اذا رفت ولم يكن له معاش او كان له معاش قليل فحسبك ان تراه بعد ذلك تعيس الحظ فى حيرة لا يدرى معها ماذا يصنع بعد ان نشأ وشب مطبوعا على التوكل على الله ثم على الحكومة و بعد ان قضى احسن وقت فى عمره بدون مجاهدة نفس وتفكر و بلا شغل يذكر

ولو فرضنا الآن ان الشاب اعتاد من اول نشأته على ان يتوكل على الله ثم على اشتغاله وكده وسارت معه وظائف فكره واعضائه تنمو بدوام الشغل والعمل وطار بأجنحة آماله فى الدنيا وذاق حلاوة الكسب من عرق جبينه فلا تراه بعد تعب عشرين سنة كالتى قضاها ذلك الموظف الا ذا ثروة عظيمة مالم يكن خلقه الله مجردا عن كل استعداد طبيعى

فعلى الآباء ان يعدوا ابنائهم الى غاية الوصول الى السعادة وان يفتحوا امامهم ابواب الآمال لانها ابواب الثروة الحقيقية وان يعطوهم الوسائل للحصول عليها . واول شىء يجب ان يلتفتوا اليه اليوم هو التجارة

ان الاوربيين يجمعون الاموال الهائلة لا لان الله خلقهم اشد مناعضلا واتم تركيبا . ولا لانهم اوتوا مفاتيح كنوز خفية لا يمكن ان نصل اليها نحن . بل لانهم فهموا ان التجارة هى علم الثروة وهى علم حقيقى

لا يقل في الفضل عن اشرف العلوم . يدرس فى المدارس ويتمم بالاختبار والعمل . ويوجد الآن فى المانيا عشرون الف تلميذ يتعلمون التجارة فى المدارس وتوجد فى النمسا اثنتان وستون مدرسة تجارية يتعلم الشبان فيها مسك الدفاتر ونظام البنوك والحساب والرسم والقانون التجارى والجغرافية الاقتصادية وقيمة النقود باختلاف البلاد والتأمينات واللغات الاجنبية

وفى انكلترا وفى امريكا كل تربية لا تعتبر تامة الا بعد ان يمكث الشاب ستة اشهر او سنة في مدرسة تجارية

فالاوربيون اذن لم يصيروا اغنياء الا بسببين: الاول احتقار الاستخدام فى وظائف الحكومة وعدم الالتجاء اليها الا عند الحاجة . والثانى احترام التجارة والاقبال عليها اكثر من اقبالهم على بقية العلوم الاخرى

ونحن على عكس ذلك : نحترم الوظائف الاميرية ونعدها منتهى الفخار والشرف ونحتقر التجارة ولا نقبل عليها حتي عند الحاجة المطلقة —— فكان نصيبنا الفقر الاسود

(السائح)

—﴾ اسباب ونتائج ﴿—

٥

—﴾ لماذا لا يوجد في مصر اغنياء ايضا ﴿—

لانه علاوة على الاسباب التى سردناها فى الشذرات الماضية

يوجد سبب مخصوص يجب الالتفات اليه : الا وهو سوء تربية الاولاد

فقد وجد فى مصر عدد كبير من الرجال الذين احرزوا — اما بكدهم وجدهم واما من عطايا الولاة السابقين واما من مجموع ذلك اومن طرق اخرى لا حاجة لذكرها هنا — ثروة تذكر فى مصر ولكن لسوء حظهم او حظ الامة المصرية الاسيفة انهم اعتنوا بجمع الاموال جهد الطاقة ولم يعتنوا مطلقا بتربية اولادهم

ولهذا شاهدنا ونشاهد كل يوم انه متى فارق الاب الحياة الدنيا وقبل ان تجف دموع الباكيات عليه تستطير نيران الشقاق بين وارثيه بانين منازعاتهم على الطمع والغباوة والعناد حتى يخسروا الجزء الاعظم من التركة بين مصاريف قضائية واجر للمحامين . ثم اذا كانت بقية بعد ذلك القوها في حجر عاهرة او بعثروها على طاولة قمار بحيث لا يمضى على الوارث الجديد بضعة اشهر او بضع سنوات حتى يكون في حالة يرثى لها

ولو كان المتوفي رحمه الله التفت الى تربية اولاده عشر ما التفت الى جمع المال فغرس فيهم الاخلاق الحسنة وافهمهم ما هي المعيشة واشركهم في اعماله وافكاره وفتح عيونهم في منظر الدنيا الحقيقي وايقظ عقولهم لحافظوا على ما تركه وجعلوه في المزيد

وان الثروات الطائلة الهائلة التي نشاهدها في اوربا او نسمع عنها

ليست ثمرة عمل شخص واحد بل يشترك دائما فى تكوينها عنصران او ثلاثة . فتنتقل من شخص لابنه فحفيده وهكذا تنتقل نامية مضاعفة

ولذلك ترى بيوت تلك البلاد السعيدة على الحالة التى تركها عليها الاب او الجد او هى — على الغالب — احسن مما كانت عليه

ترى هنالك بيوتا محترمة تمضى عليها العشرات من السنين بل والقرون قائمة جميلة تذكر اسم مؤسسها وتشهد لحائزها الحالى بانه من نسل عريق فى النعمة والمجد والشرف : هذه الصفات التى تلازم دائما الانسان الذى يبرهن على قدرة فى العمل

اما عندنا فالامر على العكس من ذلك : نشاهد بيوت ذواتنا وكبار سراتنا اياما معدودات ثم لا نلبث ان ننساها بالمرة بعد موتهم

يكون الرجل منا في كوكبة جلال وابهة ومظهر نعمة نخيم . ثم اذا قضى نحبه شاهدت البيت الذى كان بالامس كعبة الوفاد والقصاد مظهر النعمة والجلال والجمال على عكس حالته الاولى : خاويا كئيبا خربا يسكنه العنكبوت والبوم والفيران والجرذان . او يسكنه غلام لا يليق الاجتماع به

على انه لو كان تبديد الثروة على هذا المنوال راجعا بالفائدة على اهل البلاد بحيث يخرج المال من يد الوارث الى ايديهم لكان الضرر محتملا . ولكن كل يعلم انه توجد طائفة من سكان القطر تطوف دائما متخللة المنازل والجدران . فمتى ابصرت تركة مفتوحة حديثا حامت

حولها وتزاحمت على الوارث كما تجتمع الطيور المفترسة على الجيفة يتقدمون للوارث ببذل المال عن كرم حاتمي فيظن هذا المسكين انهم اخوان صفاء ورجال مروءة فيكب عليهم بجميع اهوائه ويقترض منهم ويمضى على اوراق لا يفهمها. ثم يستمر كذلك على ان يسلسل منهم دينارا بعد درهم ومئات بعد عشرات حتى اذا آن الوقت المناسب ونضج لحمه واستوى انقضوا عليه بمخالبهم وطعنوه الطعنة القاضية على حياته

ذلك هو تاريخ كل ثروة في مصر الا بعض مستثنيات نادرة . ونحن نراه كل يوم ونسمع ونتحدث به ونأسف عليه والاغنياء انفسهم يعلمون مصير ثروتهم من بعدهم . ولكن نراهم مع ذلك يتثبتون من النتيجة ولا يفتكرون فى المقدمات والوسائل التى تزيلها . وان افتكروا فيها فلا يعملون لازالتها . وان عملوا اهملوا اهم شيء وهو التربية لانها شيء صعب يحتاج الى عناية جسيمة ومراقبة مستمرة غير منقطعة

كثيرا مايتخذ اغنياؤنا بعض احتياطات لحفظ ثروتهم من بعدهم ولكنها في الغالب لاتوصل للمقصود وقد يترتب عليها اعظم ضرر للهيئة الاجتماعية مثل ان يقفوا املاكهم — كما سنبين ذلك

(السائح)



٦

الوقف ونتائجه

اذا نظرنا الى القصد الاول من الوقف من حيث هو وجدناه من اجمل مزايا الشريعة الاسلامية . لان تجرّد الشخص من املاكه وتخصيصها في حياته او بعد موته لعمل خيري هو امر لا يصدر الا عن نفس طيبة وعواطف شريفة واميال بارة وفكر عال

ومقصد شرعنا الشريف من تشريع الوقف ان لا تكون حوائل بين نية الخير وعمله . فسوغ لكل انسان عنده نزعة الى الخير ان ينفذ قصده مهما كان وبأىّ طريقة شاء وفى اي وقت اراد

وهذه الحرية التى لم يصل الى درجتها كثير من الشرائع والقوانين الاجنبية وعلى الاخص القانون الفرنساوي قد لوحظ بلا ريب عند سنها في شريعتنا السمحاء ان تتشعب طرق الخير فى ملتنا وان تعود منها الفوائد الجمة على العالم الاسلامى . ولا مراء فى ان خير وجوه النفع للمسلمين انشاء المدارس لنشر التعليم ومعالجة المرضى ومساعدة الفقراء والبائسين وما يشابه ذلك من الاعمال النافعة العمومية التى تحفظ حياة الامم وتزيد في قوتها

وبهذا المعنى فهم القصد من الوقف ازمانا طويلة : فالمساجد والتكايا والكتاتيب والمارستانات والمرتبات التى تعطى لطلبة العلم

والفقراء ونرى آثارها العديدة او معالمها القائمة منتشرة فى البلاد طولا وعرضاً تشهد لاجدادنا (اولئك الصالحين المحسنين المتبصرين) انهم كانوا رجالا يعملون بعقل وروية لاصلاح شؤون بلادهم ومنافع امتهم

اما الآن فقد صار الوقف من الاعمال الاحتياطية التي يتخذها الاغنياء ضد اولادهم. فالواقف صار اول قصد له ان يحبس المال لا لفعل الخير بل ليحول بين ورثته وبين تبديده. وهو ان كان يترك منفعته بعد انقضاء ذريته الى محل خيري فذلك لانه يرى من المناسب او الواجب عليه ان يجعل عمله مطابقاً في الشكل لاحكام الوقف. ففكرة الخير من عمله آتية على سبيل اللزوم والتبعية. وما القصد الاول كما قدمنا الا ان يغل ايدى اولاده الذين يعلم انهم اغنياء جاهلون وفسقة مبذرون. وكأنه لا يدري ان الابناء اذا كانوا على هذه الصفة فكل احتياط معهم يذهب هباءً منثورا!

ونحن مما نشاهد و يقع بين ايدينا كل يوم يمكننا ان نحكم: هل منع الوقف شيأ مما كان يتوقعه الواقف؟ هل ادى الوقف الوظيفة الحقيرة التى اراد الآباء الاغنياء ان يستخدموه فيها؟

الم تدلنا المشاهدات والتجارب كل يوم على ان الاولاد اذا لم يكن لهم رادع من انفسهم فهم بحكم الضرورة خاضعون لتأثير الشهوات المنتجة للفقر والعسرة الشديدة. فيستدينون حتي يستغرق الدين ايراد الوقف في الحال والاستقبال. السنا نشاهد الاملاك الموقوفة

في جميع القطر شرقاً وغرباً وكيف آلت الى الخراب بسبب تنازع المستحقين وسوء ادارة النظار ؟ الم يصل الى علم الجميع ان الاملاك الموقوفة تعامل الآن كما تعامل الاموال المباحة وهي مطمح مطامع الكل وكل يريد ان يختطف منها نصيباً ؟

ولئن اعترض علينا بأن اكثر الاعيان الموقوفة صارت فى كفالة الاوقاف فأصبحت فى حرز المثل ومشمولة بادارته . فالجواب ان ديوان الاوقاف لايمتاز على غيره من نظار الوقف الا من جهة واحدة وهي انه يفعل كبيرا مايفعله النظار صغيرا . وان هذه المصلحة فضلا عن سوء ادارتها الظاهرة سواء فيما يختص بتنمية ايراداتها او بطرق صرف اموالها قد فقدت اميال الامة وثقتها . لانها فوق اهمالها الاعمال العمومية النافعة قد تحولت عن الغرض العام الذي انشئت لاجله وهو اعطاء الحق لذويه فصارت اكبر خصم يصادفه المستحق اذا طلب حقه

ولو كان لمصر نصيب من الحظ لكانت هذه المصلحة اليوم كشجرة عالية منبسطة اغصانها الباسقة حيث يلتجىء اليها ويستظل بها فقراء الامة كلهم . او كقلب الامة الذي يخفق اذا هى حزنت او فرحت ويمد عروقها وشرايينها بالدم الذي يهبها الحياة الطيبة

فبالله كيف تصبح المصلحة الكبيرة النفع كآلة لهو فى ايدينا نلعب بها ونحن نتلفها كما يتلف الطفل كل العوبة تقع فى يده

ويا ليت شعري كيف يتحول استعمال الشرائع فينتج نتائج مختلفة بقدر ما يوجد من اختلاف وجوه تنفيذها ؟ وكيف ان الاخلاق تؤثر على القوانين والنظامات فتغيرها وتقلبها وتفسدها وتحول بينها وبين الوظيفة التي وضعت لادائها؟

ولقد كنت هممت أن انصح الناس أن لا يقف أحد شيأ من ماله ولكن أمل النفس تغلب على همامتها . فاذا لم يكن عندنا رجاء فى اصلاح الماضى فلا شيء يمنعنا — اذا اردنا — ان ننظر الى المستقبل من ان نرد الى الوقف اعتباره الشرعى وذلك يكون بأمرين :

الاول ان يخصص الواقف منذ الآن جزأً قليلا او كثيرا ليصرف من اليوم الذي يبتدئ فيه تنفيذ الوقف على مصلحة عمومية يعود نفعها على البلاد كمدرسة او كتاب أو مستشفى او أجزاخانة او مساعدة الفقراء الذين يشتغلون او الذين لا يستطيعون الشغل بحال . وهذا الباب الاخير واسع يقبل صرف الملايين اذا وجدت . ولكن على شرط أن تكون مساعدة الفقراء بتمييز وفكر على النمط الذي نراه فى أوروبا. فيمكن مثلا تخصيص الصرف على تربية الاطفال اللقطاء او العائلات التي تفقد عائلها أو بصفة مكافآت سنوية لمن يؤلف أحسن كتاب

في تاريخ الاسلام او يترجم عددا من الكتب الاجنبية التي يجب نشرها في بلادنا . وهكذا

والثاني ان يعين الواقف الاشخاص الذين ينيط بهم ادارة الوقف من اهله او اصحابه او غيرهم ممن يرى فيهم الاستعداد والضمانة لتنفيذ ارادته ولكن على شرط ان لا تؤول النظارة الى ديوان الاوقاف او غيره من مصالح الحكومة باي حجة كانت ولاي سبب كان لاني اعتقد ان كل وقف تمسه يد الحكومة ليس للامة منه نصيب

اما اذا اراد اغنياؤنا ان يتمتع اولادهم بعدهم بثروتهم فالوسيلة الوحيدة التي يجب استعمالها - مع التأكد من نجاحها - انما هى ان لا يقصروا في تربيتهم

(السائح)

اسباب ونتائج

٧

كيف يصرف المال

ان كان كسب المال صعباً فمعرفة طرق صرفه كما ينبغي ان يصرف صعبة ايضاً . لان يحتاج الى تفكر وتدبير وتحكيم

عقلي وعلم تام بجميع حاجات الانسان كما يحتاج الكسب من الوسائل المتشعبة

واول شيء يجب ان يفهمه صاحب المال أن المال الذي يكسبه بكده ومجاهداته ليس هو الغاية المبتغاة لذاتها . وانما هو واسطة للقيام بحاجات النفس . فكل ما يصرف في المحافظة على صحة الجسم ووقايته من العلل أو معالجة أمراض حاصلة سواء كان بتحسين التغذية أو اختيار المسكن الاجود او بالرياضة من الحاجات اللازمة . وكل ما يصرف في سبل التعليم والتربية كالدراسة ومطالعة الكتب والجرائد والسياحة لازم أيضا

وفى رأيي انه لا يجوز مطلقا الاستغناء عن صرف الاموال في هذا السبيل الاخير كما لا يمكن الاستغناء عن الغذاء الذى هو قوام الحياة . فلو فرضنا رجلين لكل منهما ابن وقدرنا ان النفقات اللازمة لتربية كل منهما الف جنيه فجاد بها احد الوالدين على ابنه وضن بها الآخر قائلا اني اجمعها في الصندوق حتى أتركها له كرأس مال بدلا عن انفاقها فى سبيل تربيته لكان الاول قائما بالواجب عليه دون الثاني . بل ان الاول يحسب حكيما مقتصداً والثاني يعد مهملا مبذرا . لان التربية هي رأس مال لا يفنى أما المال فما اقرب ضياعه وخصوصا من يد الغبي الجاهل

وليس بلازم ان يكون الانسان غنيا ليقوم بهذه الواجبات

لان التربيـة من ضروريات الحياة كالاكل والشرب . وكل اقتصاد فيها غير ممدوح

ومما يؤسف عليه ان الموسرين فى بلادنا لا يعرفون كيف يصرف المـال اذ هم في الغالب فريقان كل منهما احط من الآخر واجهل :

فقريق يصرف المـال ..... فى ان لا يصرف منه شيأ بل يفضل حبسه في الصندوق على كل شيء فيرضيـه أن تراه دائمـا قذر الثياب ساكنا في مكان لا تسمح ذمتك أن تربط فيـه حمارك . منعزلا عن الناس . حائزا لامرأة صبورة ترضى بالقليـل على ان تنال يوما ــ ولو بعد موته ــ الكثير وقد يكون له عدة اولاد يتركهم الى التيه بلا تربيـة بل ولا نصيحة او موعظـة حسنة او كلمة حنو . همه الوحيد فى ان ماله يزيد

والفريق الآخر يصرف المـال بان يلقيـه بملء اليد في كل وقت وفي كل مكان

وظاهر ان كلا النوعين يصرف ماله بكيفية مضرة له وللهيئـة الاجتماعية . ولو درى أغنياؤنا كيف يصرف الغربيون رجالا ونساء أموالهم لماتوا خجلا ان كانوا يألمون ويخجلون

نرى في كل مدينـة من مدن أوربا بـين عشرين ومائة محل من المحال الخيرية بحيث قد تربو وجود مصارف الخـير

على عدد انواع الفقر . والحرف والفنون والعلوم التي يراد علاجها او خدمتها باعمال البر بين الناس

نشاهد تلقاء كل نوع من تلك الانواع مصارف خيرية قد خصصت لها وجميع مواردها قائم بالعطايا والوصايا التي تسديها اليها الاغنياء

ان فى أوروبا نساء وهبن في دفعة واحدة نصف مليون ومليونا ومليونين من الفرنكات : هذه لاسبتالية يعالج بها العساكر الذين جرحوا فى الحروب . وتلك للشبان المصابين بداء السل . واخري للمخترعين الذين لايستطيعون ان يتموا مشروعاتهم لقلة ذات ايديهم . ورابعة لاول مكتشف طريقة للمواصلات بين كوكبنا وكوكب آخر . وخامسة لاحدى البنات التي تشتهر بفضيلة مخصوصة . وسادسة للعائلات التى تصاب بكثرة الاولاد على غير ميسرة . وهلم جرا

ولا يتوهمن القارىء ان هؤلاء الاغنياء الذين يهبون ويوصون بمثل هذه المقادير ليس لهم بنون واقارب . كلا . بل ان جميعهم او اكثرهم من المعقبين ولكنهم يفتكرون - وهم مصيبون - أن الانسان اذا ترك لوارثه جزأ من ماله يكفيه لقضاء حاجاته المعيشية فقد فعل فوق مايجب عليه

فلو فرضنا ان رأس مال احدهم يساوي مائة الف جنيه

فاوصى بنصفه او ثلثيه الى وجه من وجوه الخير وحفظ الباقي لورثته قد وفق بين مصلحتهم الخصوصية وبين المنفعة العامة .
وليس من النادر كذلك في أوروبا أن يحرم شخص جميع ورثته من كل ماله ويعطيه لجمعية خيرية اذا تبين له انهم على اخلاق فاسدة

فما لنا لا نقتدى بامثال هؤلاء ونحن أولى باعمالهم منهم اذ أننا على دين من اركانه الزكاة وفيه ان اطعام المسكين كفارة للذنب ؟

السائح

اسباب ونتائج



٨

التربية

التربية بوجه عام هى تنمية القوى المودعة في الانسان الناطق أو الحيوان الاعجم

وقد مارس الانسان وظيفة التربية لنفسه وفي كل شيء وقع تحت تصرفه حتى وصل الى نتائج تشبه المعجزات

ففى النباتات مزج الالوان وعظم الحجم وحسن النوع ونسخ هيئته التى فطر عليها . وفى الحيوانات قد استأنسها واستخدمها وعلمها واستولد من الانواع المختلفة أنواعا جديدة

ولكن اكبر شيء يحق للانسان المباهاة به والافتخار بل والاعجاب والزهو هو تربيته نفسه

ولو رجعنا بالفكر القهقرى سائرين في الطريق الطويل الصعب الوعر الذي قطعه الانسان من اول خلقته وتخيلناه في ذهننا من مبدئه الى المحطة التي وصل اليها الآن لشعرنا بدوار عظيم أشبه بالدوار الذي يستولى على الدماغ ويستهوى بحواس احدنا اذا وجد نفسه فجأة على محل شاهق جدا وألقى ببصره الى هاوية سحيقة كذلك

وقد يتيه العقل ويذهل اذا تخيل الانسان الحالة التى ينتظر ان يرقى اليها النوع البشري على القياس السابق بعد نحو ألف عام أو الفين لان هذا التغير والتحول بل الحركة المستمرة الى جهة الترقي هي قانون الحياة الانسانية التي خلقها الله ووهبها أعظم وسائل الارتقاء . وبهذا القانون خرج الانسان من المعيشة البهيمية التى لا يزال عليها اخواننا المتوحشون من سكان افريقية وامريكا ممن وصفهم العلماء بانهم قردة متمدنة عندما شاهدوا أن المسافة التي بينهم وبين الحيوانات البهم أقل من المسافة التى بينهم وبين أناسي أمة متمدنة . حياك الله

ولو لم يقف هؤلاء العلماء على البراهين التاريخية القاطعة التى استخرجوها من بطون الارض فاثبتت انهم من جنس

آدمى لحكموا باخراج هؤلاء الاخوان التعساء من دائرة الانسانية

وها هو الانسان لم يزل يتمشى صاعدا مرتقياً متنقلا من دور الى دور حتى وصل الى هذه المدنية الجميلة التي جعلته حقيقة سيد الكون واشرف المخلوقات وسيستمر كذلك باذن الله الى حد لا يعلمه الا هو

وهذه المرتبة العالية لم ينلها الانسان الا بتربية نفسه فلا غرو ان صارت التربية عند الامم المقدرة لها حق قدرها صاحبة المكان الاول فى النفوس معتبرة اياها عماد حياتها

والتربية هي التي انتجت كل الرجال الذين نسمع عنهم ونشاهدهم متحلين بمزايا الاستقامة والصدق والكرم والشجاعة والشفقة وحب الوطن واحترام الحق والدفاع عن الحقيقة والخضوع للواجب وبذل النفس والمال فى خدمة العلم والدين والجامعة الوطنية . والتربية هى التي انتجت ايضاً رجال أوربا الذين نقول عنهم عند ما يفيض اعجابنا بهم ونريد أن نسلى انفسنا بما يخفف تبكيت الضمير (انهم اخذوا كل فضائلهم عنا وعن ديننا وعملوا به) . وهي التسلية التى حقها أن يكون وخزها في القلوب اشد من طعن الاسنة والرماح اوهى كما يقول المثل « عذر اقبح من الذنب »

ولقد فعل المصريون شيئاً يذكر فيما يختص بتعليم ابنائهم

فبعد ان كان لا يمكن ادخال ابنائهم في المدارس الا بالقوة والارهاب من عهد ليس ببعيد صرنا نراهم الآن يسعون وراء التعليم مجتهدين في ادخال أبنائهم المدارس مجانا او بمصاريف بل ويتظلمون من ان الحكومة لم تفعل كل ما يجب عليها . وقصارى منيتهم التي يسهل استنباطها من اقوالهم وشكاويهم ان تفتح الحكومة في كل مديرية وفى كل محافظة مدرسة طويلة عريضة فسيحة الارجاء تسع كل ابناء سكانها . وربما لا يكتفون بذلك فيأملون ايضاً أن تعطيهم بلا منة عليهم الملبس . ولا بأس من ان تعطيهم فضلا منها بعض نقود ليصرفوها على انفسهم في فسح أيام الجمعة وثمناً للدخان الذي يشربونه

ثم اذا أتموا دراستهم بدون عطل ولا تدقيق زائد في الامتحانات كان على الحكومة ان تمنحهم الوظائف العالية فالرتب والنياشين حتى اذا مات احدهم فعلت مثل ذلك مع ابنائهم . واذا ناقشتهم في مطالبهم هذه رأيتهم مقتنعين بان الحكومة اذا فعلت ذلك كله كانت قائمة بالواجب عليها فقط وانه ليس فيما يطلبون شيء خارج عن حد الاعتدال ولا فوق المستطاع ولا ما يزيد عن الواجب وليت شعري لماذا لا يطلبون مع ذلك من الحكومة ان تتكفل بتزويج بناتهم حتى لا يبقى عليهم حمل ثقيل بعد ذلك

ومن الاسف أن المصري لا يزال يظن ان تربية الطفل عبارة

عن وضعه فى المدرسة وانه متى علم ولده ما كان يجهله من العلوم فقد أحسن تربيته وقام بما يجب عليه : مع ان التعليم هو فى الحقيقة أقل فروع التربية شأنا وفائدة

نعم انه قد يكون من النافع أن الولد يعرف القراءة والكتابة والحساب ويتعلم الجغرافية والتاريخ والهندسة والفلسفة اذا شئت . ولو اني اعتقد ان التعليم النظري لا يفيد الغلام فائدة محسوسة خصوصا اذا كان في السن الذي يتلقى فيه العلوم العاليه

ولكن يجب ان الآباء يعلمون ان التعليم وحده لا يفيد شيأ اذا لم يكن مصحوبا بتربية قوية . وان الجرعات العلمية التي يبتلعها الغلام من سن السابعة من عمره الى سن العشرين ليس فيها الغذاء اللازم لتكوين روحه . اذ هذه الجرعات أشبه شيء بالحبوب المذهبة التي ينشر عنها مخترعوها الاعلانات المشوقة فى الجرائد حيث ينسبون لها جميع المزايا الصالحة لشفاء جميع الامراض وليس فيها فى الحقيقة ونفس الامر الا مزية واحدة : هى انها لا تضر

اما تربية الروح فانها تكون بتعويد الطفل لا على ان يفهم هذا الطيب طيبا وذاك الخبيث خبيثا . بل على ان يعمل الطيب ما قدر ويجتنب الخبيث ما استطاع . لان ادراك الحسن حسنا والقبيح قبيحا أمر سهل وقد لا يكاد يوجد انسان يفعل امرا مذموما وهو يعتقد أنه ممدوح . فالسارق والقاتل والخائن والبخيل كلهم يفهمون

ان ما يرتكبونه رذيلة من الرذائل .ولكنهم تعودوا استعمالها كما تعودوا ان يجفوا الفضائل

فالتمييز بين الفضيلة والرذيلة ليس بالشيء المهم في فن التربية ولكن كله ينحصر في اكتشاف واظهار وتمية جميع الملكات الطيبة المخلوقة فينا او غرسها فى نفوسنا وتقويتها واحيائها حتى تمسك فى النفس بجذورها فلا تستطيع قوة قلعها بعد ذلك ابدا . ومتى وجدت التربية بهذا المعنى لازمت النفس الفضائل وتجافت الرذائل بقدر تلك الملازمة

وبديهي أن التربية بهذا المعنى لا يمكن أن تكتسب فى المدارس والمكاتب أو من قراءة وحفظ قواعد علمية . بل تجب ممارستها مع الطفل من يوم يعي الخطاب ويفهم الكلام بل وقبل ذلك كما سنبينه بالبرهان . واول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة الشريفة هم طبعاً الذين يعاشرون الطفل من نشأته معاشرة مستمرة والذين يؤثرون عليه باعمالهم واقوالهم وسلوكهم . ثم اذا اضفنا الى ذلك ما تحتاجه هذه التربية من العناء والصبر والعقل والحنو والمحبة الخالصة حكمنا بانها لا تتم الا بواسطة من انتخبتهم الفطرة الالهية — اوكما يسميها بعضهم الطبيعة — لهذه المأمورية العالية وهم الوالدان

فاصلاح الانسان لا يكون الا بالتربيـة والتربية لا تكون الا بالعائلة . ولهذا اعتبرت العائلة اساس كل جامعة

السائح

اسباب ونتائج

٩

(التربية ايضاً)

قال احد الفلاسفة « لو عهدت الى تربيـة النوع الانساني لقومت كل اعوجاج فيه حتى يصبح ولا عيب في خلق من اخلاقه »

ومغزى هذه العبارة الجوهرى ان التربيـة تصلح كل اخلاق الانسان وتجعله ـ اذا تمت فيه على ما ينبغي ـ قويما منزها عن العيوب والنقائص التي تلاحظ الآن في مجموع النوع الانساني . وليس فى هذه الدعوى ادنى مبالغة بل هي الحقيقة التي لا ريب فيها

اما النسق اللفظي لتلك الحكمة الباهرة فهو مبالغ فيه لا محالة لان الشخص الواحد لا يمكنه ان يتولى تربية شخص مثله من جميع أطرافها في جميع اطواره بل فى مثل هـذا المقام يظهر عجز الانسان الضعيف وتتجلى قدرة الله في خلقه حيث جعل الكل عونا للكل

وبيان ذلك أن التربية لا يمكن ان تنتج فى الامم بل ولا فى الاشخاص نتائج سريعة الى مثل هذا الحد الذى يرمى اليه ظاهر لفظ ذلك الحكيم الفيلسوف . وان التقدم الادبي والارتقاء العقلى

لا يخلقان من العــدم البحت الى مظهر الوجود الكلى مرة واحدة بل المشاهد عكس ذلك حيث سـير التقدم بطيء غـير محسوس يكاد لا تشعر به الامة التى يزورها . وقد يحتاج لرسـوخه في النفوس والعقول لعدة اعصر متواليــة فيترك كل عصر الى ما يليه تركته ويرث الخلف من السلف كل مملوكاته التي ورثها من اسلافه والتي اكتسبها بجده الذاتى

وهذا ما يسمى عند علماء الطبيعة بقانون الوراثة : ذلك القانون الذي لا يزال تطبيقه سراً غامضاً يجعــل جميع الاعصر متضامنة مع بعضها تضامناً مفيداً أو مضراً حسب اختلاف اخلاق اهل كل عصر

ومن الثابت البديهي ان الانسان كما يرث عن والديه وامته وجنسه الصفات الجثمانية التي امتازوا بها يرث كذلك من هاته العناصر كلها القوى العقلية والادبية التى تكون مختصة بها

ولهذا لا يستطاع ان نطلب من التربيــة أن تفعل ما يفعله السحر الذي يقلب العصا حية . فان تحويل الامة دفعة واحدة من التوحش الى التمدن لا يقل عن قلب العصا حية تسعى

وحسب التربية شرفا وفضلا أنها هي الوسـيلة التي تمكن الامة من الارتقاء فوق أعلى منصات المدنية والحضارة اذا لازمتها وراعت التحرز والاحتياط وتبعت الجد وابتعدت عن الطيش فلم

تنقل رجلا من مكانها صعودا الا بعـد أن تثبت الاخرى على الدرجة التي فوقها .والا عرضت نفسها الى خطر الانزلاق والسقوط واضطرت بعد ذلك ان تعاود الصعود وتكرره فيضيع الوقت بين صعود وهبوط وتقدم وتأخر

وقد اختلف العلماء في كيفية وضع قواعد التربيةواتى كل منهم بمذهب على ما رأى وليس محـل بيان تلك المذاهب هذا المقام اذ الاطلاع عليها سهل لكل من اراد ولكن كلها مجمع على لزوم البدء فى التربية منذ يستهل الطفل ويلتمس رضاع لبن امه ولا غاية للتربية الا بالموت اذ الانسان محتاج لها حتى يفارق الحياة الدنيا

ويلزم ان يكون البادىء في مباشرة التربية الوالدين حتى يبلغ الطفل رشده او بعبارة اخرى حتى يكون رجلا مستقلا بنفسه ثم هو يتولى تربية أخلاقه وتقويم ما يجده فيها من اعوجاج

ولكن من البديهى ان أصلح ضروب التربية انما هو ما يلازم الطفل فى مهده • فان اكبر عيوبنا يستولى علينا ونحن أطفال وهو الامر الذي اغفله الوالدان عندنا بالمرة . وكثيراً ما يتركون اولادهم يلعبون بتعذيب الحيوانات او يضربون خدمهم او يشتمونهم باقبح ألفاظ السباب والشتائم وهم يضحكون انبساطاً من هذا الانسان الصغير الذي يقدر على هـذه الكبائر . وكثيراً ما يعجب الوالدون باولادهم اذا اخترعوا واقعة كاذبة او استعملوا حيلة لحصولهم على

فائدة أو لتملصهم من ذنب وقد يصيحون قائلين : ما انبه هذا الصبي وما اشد ذكاءه

وكثيراً ما يضرب الوالدون أولادهم ضربا مؤلما الغرض تأديبهم أو يخاطبونهم بالعنف والتهديد وغليظ الصوت الذي يلقي الفزع والرعب فى قلوبهم: مع أن هذه الاعمال كلها هي البذور التي تنتج فى المستقبل نبات القسوة والحمق والخيانة والجبن والنذالة

وأغلب الوالدين عندنا يساعدون على غرس وتمية العيوب في الاطفال . وقد يعتبرون الطفل كألعوبة وهبها الله اياهم ليقضوا بها اويقاتهم فى الفرح والسرور والضحك فلا يفكرون الا في ترويح نفوسهم به حتى اذا ما كبر الطفل وبلغ سبع سنين ولم يبق صالحا لتسليتهم بأقواله وحركاته هجروه وابعدوه وطردوه يلعب فى الطرقات مع اولاد الحارة او يقعد على الباب مع الاتباع والخدم فيرتبط الطفل بهم وتتكون علاقة بين نفسه ونفوسهم وروحه وأرواحهم ويأخذ منهم أضعاف ما يأخذ من أهله فيشب على عادات رديئة وأخلاق رذيلة تبقى معه ما دام حيا

وحسب كل منا أن يمعن النظر فى أخلاق نفسه فلا يصعب عليه أن يكتشف عيوبا نشأت فيه وشب عليها من الصغر ولو حاول يوما ما ان ينزع نفسه منها ويتجرد عنها بالكلية لوجد شخصه عاجزا عن ذلك تمام العجز . وقصارى ما يصل اليه جهد الانسان

أن يلطف هذه العيوب قليلا . بمعنى أنه اذا وضع الواحد منا عيبه نصب عينيه وحاذر من الوقوع فيه كفى شره بالاجتناب عنه ما دام يقظا محاذرا . ولكن استمرار الحذر غير متيسر فى كل وقت لكل احد فاذا ذهل ذلك المحاذر عن عيبه سويعة من الزمان واشتغل بأمر آخر فلا يشعر الا وهو مغمور في ذلك العيب الى رقبته . ولهذا كان المثل المصري الشائع « الطبع والروح في جسد » من أحكم الامثال وأصدقها

لهذا تجب ملاحظة الطفل في كل اعماله وحركاته واقواله ملاحظة مستمرة حتي لا تلتصق به عادة رديئة ويجب على الخصوص اجتناب الاعمال القبيحة أمامه . لان المثل يعدى خصوصاً مع الاطفال

ولا ينتظر لمباشرة التربية أن يتعقل الطفل الاشياء ويفهم المعانى ويعى ما يقال له . بل يجب الشروع فيها من أول ولادته بتعويده على انتظام الغذاء والنوم والنظافة وعدم البكاء . بل قد تطرف فريق من العلماء فجعل مبدأ زمن التربية من بدء ظهور الحمل في بطن أمه . وهذا الرأي مع ما فيه من الغرابة ليس ملقي على عواهنه أو خاليا من الصواب لاننا نشاهد ان الامّ تؤثر على ولدها تأثيرات مادية لا يمكن انكارها . فترى فى بعض الاحيان عند ما يولد الطفل آثارا ظاهرة في جسمه يكون سببها الوحيد تأثر

الام أثناء مـدة الحمل بحادث مخصوص هيج احساسها الى الرغبـة في شيء أوالنفور منه

وتوجد مشاهـدات كثيرة تدل كذلك على أن الامهات اذا طرأ عليهن في مدة الحمل فزع شديد أو كدر عظيم أو شهوة قوية أثرت هذه الحوادث على أخـلاق أولادهن وأورثتهم الشراسة أو الحمق أو العناد أو التهور فى الاقوال والاعمال

فليس اذن من المستحيل ان نعتبر بقاء الام مدة الحمل على حالة اعتيادية واجتنابها كل ما من شأنه أن يثير عواطفها ويهيج حواسها من اول الحقوق التي يكتسبها الطفل عن والدته وأول الواجبات التى تفرضها عليها تربيته

وعلى كل حال فان تأثير الوالدين وعلى الخصوص الامهات في تربية الطفل أمر ثابت ونتيجته تكون مفيـدة لسعادة الطفل ان راعى الوالدان الذمة واخلصا النصيحة الصادقة فى تربية أولادهم وتكون ضارة وسببا فى كل شقائه ان كانا على عكس ذلك

السائح

اسباب ونتائج

١٠

(أصول التربية)

ونعنى بالاصل هنا الأس الذي يشيد عليه البناء قائمًا ثابتًا لان

كل نفس صنعتها تربية حسنة تكون قائمة على قواعد متينة تحفظها من السقوط في مهاوي التلف وتمكنها من مقاومة عواصف الشهوات والحوادث التى لا بد من مصادفتها في الحياة . ومن الاسف اننا اذا نظرنا الى نفوسنا وجدنا تربيتنا كبناء على شفا جرف هار

واول أساس يقوم عليه بناء التربية الشريفة هو الاحساس الديني . فالدين للانسان هو الشيء الوحيد الذي يمثل بين يدي كل نفس صورة الكمال الحقيقي . وغرس بذور محبة الدين فى نفس الطفل يجعل وجهته فى كل حركاته وسكناته نحو الكمال في كل شيء ويخلق عنده رغبة كاملة فى كل ما يراه جميلا

وليس في الحياة وقت أحلى وألذ على النفس من ان الانسان يجرد نفسه سويعة من الزمان عن كل ما يحيط به من عالم الكون الذي هو فيه ويذهل عما فيه من القبائح والمظالم والمصائب بل ومن الافراح التى لا تخلو دائماً من شائبة كدر تمازجها أو تتبعها . تلك الافراح الكاذبة الغاشة كما تغش التفاحة بهيئتها النضرة ظاهرا وقلبها مسكن للديدان

فاذا جردها كما تقدم وقلب وجهه فى السماء زمنا خاشعاً ساكنا حيران راجياً ناسياً كل شيء حتى ذاته - ثم رجع بعد ذلك الى نفسه وجدها شيأ تافها حقيراً ناقصا فتميل روحه اذ ذاك الى الترفع

عن الاشياء المادية والتنزه عن الدنايا والشهوات ويرى نفسه ساعتئذ عالقة بمحبة الكمال فى كل شيء

نتج من هذا انه اذا تعود الطفل عندنا على محبة دينه — وهو دين قويم جمع كل الكمالات — ثم غذى بتاريخ الاسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والسلف الصالح وبالجملة كل الرجال الذين اشتهروا بالكمالات من المسلمين ودأب أهله على محادثته بأمثلة ذلك التاريخ الشريف واضعين بين عينيه الكتب التي تشتمل على هذه الفضائل بدلا من قصص أبو زيد والزناتي وحكايات الجن والعفاريت . فلا ريب فى ان الطفل يشب على اخلاق كريمة فيصبح بعد ذلك رجلا له فى جانب عقله روح كبيرة ونفس مترفعة عن الدنايا واحساس عال قوي : وكلها عناصر لا يكون الرجل بدونها انسانا بل ولا رجلا

ونحن واأسفاه نكاد نكون مجردين عن الاحساس الديني الذي يودع فى الشخص تلك الكمالات ويربيها . ولست أتكلم عن أبناء المدارس فقط بل وعن طلبة العلم الذين قصروا تعلمهم على ما يلقي في الجامع الازهر الشريف من العلوم الدينية وما يتبعها . وأمثالهم . لان هؤلاء قد تعودوا ان يتلقوا احكام الشريعة كعلم يجب حفظه فى الذهن مهملين مع ذلك كل ما ينتج تولد الاحساس الديني الحقيقي وتنميته

وعلى عكس ذلك نرى الاوربيين . فانهم وان كانوا أقل من المسلمين معرفة بأمور دينهم ولم يعتادوا الاشتغال بدراسته مثلنا لكنهم على الدوام يظهرون في أقوالهم وأعمالهم احتراما شديداً لكل ما يختص بدينهم واحترازا عظيما عن كل ما يمسه ولو أقل مساس

وكلهم يرونه عنوان المدنية ومنبع الآداب والوسيلة الوحيدة لتهذيب النفوس . وربما كان أقلهم اعتقاداً في صحته اكثرهم احساسا بمحبته واحتراما له

والاساس الثاني للتربية هو الاحساس الوطني . وهو يتولد كذلك عند الطفل من الحديث والقراءة والاحاطة بكل ما يعلي شأن الوطن وما يسقطه وتعويده على النظر اليه كشيء محترم جليل مقدس وتفهيمه بانه وحده ليس لعمله قيمة ولا لوجوده اعتبار ذاتي . وانه بانضمامه لامته يكوّن قوة عظيمة . وان منفعة الانسان صغيرة زائلة ومنفعة الامة كبيرة راسخة . وانه يجب علينا ان نعمل لمن يخلفنا فى وطننا مثل الذي عمله اسلافنا لنا

تأمل ايها القارىء برهة تر ان بلادنا مثلا ما وجدت فى الدنيا بالحالة التى هى عليها الآن . بل ان كل ماتراه فيها نتيجة اعمال ألوف من القرون كل قرن يتلقى من سابقه ما تركه ناقصاً فيتممه ويهيىء غيره الى خالفه سواء كان فى الزراعة او الصناعة او المباني اوالعلوم

او اللغة او الكتابة او الشرائع او التوسع في الفتوحات او المحافظة على الامن داخلا وخارجا . فان كنا اليوم نتمتع بهذه المزايا فعلينا ان نشكر آباءنا وان لا ننسى ان سيخلفنا خلف لهم علينا حقوق ولنا عليهم واجبات كما كان بيننا وبين آبائنا سواء بسواء . والوطن هو الذي يمثل للذهن هذه السلسلة مرتبطا بعضها ببعض ولسنا الا حلقة فيها

اما الاساس الثالث فهو مراقبة الوازع النفسي او ما يسميه بعضهم تنمية الضمير . ويسميه الاوربيون المحكمة الباطنية التي يحاكم الانسان نفسه امامها

وقد يظهر ان رجوع الانسان الى نفسه بهذه الطريقة امر فطرى الا انه ليس هذا صحيحاً الا عندما يقع فى عمل يوجب التبعة والمسئولية اذ في ذلك الوقت يكون حكم الضمير قويا صارما فيعرف الانسان انه مذنب ومقصر ويندم على فعله

ولكن أي الناس يحاسبون نفوسهم على اعمالهم اليومية ؟ اي الناس يستعملون الذمة مع اولادهم وازواجهم واقاربهم واصحابهم وخادميهم ومن يتعاملون معهم بالبيع والشراء والاجارة وغير ذلك ؟ بل نرى ونشاهد اكثر الناس مشغولين بمراقبة اعمال غيرهم حاكمين عليها اشد الاحكام وكأنما هم لم يخطر على بالهم ان يراقبوا اعمالهم لحظة واحدة ولا ان يحكموا على انفسهم ولو بمنتهى الحنان والشفقة يوما واحدا

ولهذا يجب تعويد الطفل من الصغر على ان يتداول مع نفسه ويختار ويحكم ويحاسب ذاته أمام ضميره

(السائح)

اسباب ونتائج

١١

عيوب تربيتنا « حب النفس »

حب النفس فطرة في كل انسان ولكنه يختلف قلة وكثرة بين الناس . وليس مبدأ حب النفس من النقائص البشرية بل هو خلق وجد مع الانسان حيث خلقه الله لجلب النفع له ودرء الضرر عنه

ولما كان الانسان في حالته الفطرية الاولى قبل كل اجتماع كانت ملكة حب الذات لازمة له ضد العناصر الطبيعية والحيوانات التي تنازعه في معيشته بل كان حب الذات هو القانون الوحيد الذى يتبعه في سلوكه فلا يتأخر عن فعل امر يعود عليه أو يجلب له لذة ولو كان قبيحاً أو فيه شر للناس

ولكن منذ اليوم الذي ابتدأ الانسان فيه أن يعيش في جامعة من أبناء جنسه متضامنة في وسائل الحياة أخذ الشعور بحب الذات يتناقص عند كل فرد من افراد هذه الجامعة لما تحققه من ان حفظ نفسه لم يبق من وظيفته وحده بل من وظيفة جميع اعضاء

العائلة التي هو منها .فالقبيلة التي تشمله . فالحكومة التي ترعاه

ومن ذلك اليوم وجد في جانب هذا الواجب الذي تكفلت به الهيئة الاجتماعية حق صريح لها في ان لا يعمل فرد منها عملا يعود عليها أو على عضو منها بالضرر . ومع التقدم رويداً رويداً في نظام الاجتماع صار كل عضو من الامة يتمتع باعمال كل أعضائها وينتفع من أفكارهم وعلومهم ومصنوعاتهم كما ينتفع المفكر والعالم والصانع بالسواء . وعلى ذلك صارت الحقوق والواجبات متشعبة موزعة على كيفية التضامن العام بين الجميع بحيث صار الواحد منا اليوم مرتبطاً بأهل بلده ارتباطاً شديداً لا يمكن ان أشبهه باحسن مما يعبر عنه المتشرعون في اصطلاحهم بارتباط التعهدات المتضامنة

نعم ان حب النفس لا يزال في فطرة كل انسان بل انه لا يزال أشد الاحساسات الطبيعية وألزمها للنفس حتى يخيل لاحدنا ان كل حب سواه كالعشق أو محبة البنين أو الصديق أو المال لم يخرج في الحقيقة عن كونه شعبة من حب الانسان لنفسه بالواسطة بمعنى ان الانسان يحب نفسه في كل انسان وفي كل شيء يميل اليه . لكن لا ريب في ان الدين والتربية والتأديب قد أثر جميعها على هذا الاحساس الطبيعي حتى أضعفه أو على الاقل رسم له دائرة محدودة لا يتخطاها . فكل منفعة شخصية لا تضر بالغير مباحة . وهي ممنوعة اذا كانت بعكس ذلك . وضرر الغير تعينه الشرائع وآداب كل أمة

والتربية الحسنة النافعة انما تظهر في اختيار المنافع الشخصية وانتخاب ما يكون منها موافقاً لمصلحة الهيئة الاجتماعية فيخدم الانسان نفسه ويخدم الناس في آن واحد . وفي الغالب اذا خدم الانسان الناس بهذه الطريقة استخدمهم فى تحقيق آماله لان العمل اذا كان يحتوي على منفعة عمومية رضى به الناس اجمعون وعضدوا عامله باقوالهم واعمالهم . وهذا التعضيد يساعد العامل ولا شك فى تنفيذ ما اراد وتحقيق ما قصد. واذا تأملنا فى تاريخ الرجال المشهورين الذين صارت لهم المكانة العظمى في التاريخ كبسمارك وغلادستون وغامبتا لم نجدهم مجردين عن احساس حب النفس . بل بالعكس ربما كانوا أشد الناس حباً لنفسهم لكنهم عرفوا كيف ينتخبون مطالبهم الذاتية موافقة للمصالح العمومية وتسنى لهم بذلك ان يخلطوا بين منافعهم الشخصية ومنافع اوطانهم فجعلوا المنفعتين واحدة غير متجزئة حتى اذ استمروا على هذه الخطة زمناً صار من الصعب على الناس وعليهم ايضاً ان يميزوا الحد الفاصل بين المنفعتين . وهذا ما حدا بأهل بلادهم ان يقيموا لهم التماثيل لتخليد ذكراهم اعلاناً لرضاهم عنهم وارتياحهم من اعمالهم

ولكن من الاسف نرى اهل بلادنا قد غفلوا عن تهذيب ملكة حب النفس في تربية اولادهم فنشئوا على ما نراه ممتازين بمهارة غريبة فى انتخاب مطالبهم مما يضر بالغير . فهم يتهافتون

على العمل النافع لهم اذا كان فيه اضرار بالمصلحة العامة . وقد لا يقبلون عليه اذا تجرد عن ذلك

فالموظف المصري يعرف لتقدمه كل الطرق ماعدا طريقاً واحداً وهو الشغل

والفرد من الاهالي لا يستعين فى طريق نفع ذاته بغير المطاعنات وتلفيق البلاغات وبجميع اعمال الزور حتى ضد اقرب الناس اليه

وهذه الحالة التى تمثل اكبر عيب فينا هى ايضا نتيجة الحكومات الاستبدادية الماضية لان الاستبداد أصل كل فساد في الاخلاق . وقد اهملناه في تربيتنا فنما هذا النبات الخبيث نمواً شديدا حتى ضعضع كل ما يوجد فى جانبه من احساس شريف وعاطفة بشرية وارتباط اجتماعى . وعلى الخصوص ارتباط عائلي

وها نحن نعيش اليوم كل واحد في جانب الآخر بدون ان يمتزج به الا امتزاجا سطحياً . كل منا سائر في طريقه مهتم بنفسه لا يجمعه مع الآخر أقل ارتباط : مع اننا نرى غيرنا على خلاف هذه الاخلاق

نرى الامة المكونة من اربعين مليونا من النفوس مثلا كل أفرادها على قلب رجل واحد . اذا ذكر اسم الوطن ألفيت هذا المجموع العظيم مؤلفاً من جمعيات سياسية وجمعيات علمية وأخرى فنية وهكذا بقدر ما يوجد من فروع العلوم والفنون . بل نرى

لكل نوع من انواع الرياضـة كركوب الخيل والمصارعة ولعب الكرة والسباحة وما أشبه جمعية مخصوصـة . نرى حب الاجتماع فى كل شيء وفي كل انسان حتى اذا لم يبق شيء يكون موضوعا للاجتماع اجتمعوا لمجرد التشابه في الجسم كالجمعية التى أنشئت من سنتين في باريس لكل من يزيد وزنه عن مائة كيلو • أو للتشابه في الاميال لجمعية العذاب

وظاهر ان هذه الامور هي أسباب للاجتماع فقط واما الغاية الاصلية فهى الاجتماع

ولهذا يلزم تعويد اطفالنا على الاجتماع بامثالهم كما يفعل الغربيون حتى اذا شبوا على ذلك كان حب الاجتماع فطرة فيهم فلا يكون حب النفس من العيوب المفضية الى انحلال اجزائنا والاضرار بجامعتنا كما هو الآن (السائح)

اسباب ونتائج

١٢

عيوب تربيتنا « الكسل »

ان لكل أمة عيباً مشهوراً تعرفه في نفسها كما يعرفها به الاجانب وعيبنا الكبير الذي يشاهد بوجه التقريب عاما بيننا ويكاد لا يخلو منه أحد وان كان يختلف قلة وكثرة هو الكسل

نعم نحن كسالى فى اعمالنا وفي اقوالنا وفي افكارنا وفي رياضتنا •

نحن كسالى في جميع اطوار الحياة ومظاهرها . نحن كسالى في الجد وكسالى في الهزل وكسالى امام المصائب وامام الافراح وتلقاء النافع وازاء الضار

نحن كسالى فى الصباح وفي المساء . نقوم من النوم كسالى ونذهب الى النوم كسالى . ونعيش بين هذين الوقتين كسالى

انظر فى تاريخ حياة كل فرد منا تجده مملوأ بالاكل والشرب والنوم ورواية القصص القديمة والنوادر المضحكة والتنكيت والضحك الصناعي والاقوال الفارغة والالفاظ التي معانيها غامضة او ظاهرة نصف ظهور . وقد لا تجد في صحيفة واحدة من صحف احدنا عملا يذكر

وليس المقصود ان نعمل ما فوق الطاقة او ان نأتي بالعجائب والغرائب بل نقول اننا لا نعمل الاعمال العادية التى بدونها لا يمكن الحفاظ على سلامة الجسم وصحة العقل .

فمن لوازم الجسم ان يصرف في كل يوم مقدارا من القوة بتحريك الاعضاء وتمرينها سواء كان ذلك بالمشى او الركوب او اللعب او الشغل والا سقط في الهزال والضعف المورثين للكسل

وكذلك العقل يقع فى مهوات الكسل اذا لم تتوارد عليه صور اشياء شتى لان المخ هو فى الحقيقة مخزن واسع تأوى اليه الصور التي تتكون بواسطة حواسنا حيث الاجهزة العصبية للنظر

والسمع والشم والذوق واللمس هى الينابيع التي يستمد منها المخ مادته وتتكون منها وظيفة التفكر وتتألف بها اجزاء المعانى . فان كانت الاحساسات متوفرة متنوعة كان العقل كبيرا . وان كانت قليلة كان صغيرا

والارتقاء العقلي لا يكون الا بتوارد احساسات جديدة من شأنها تحريك الصور القديمة والاضافة اليها ووضع المخ في حالة التنبه التى بدونها لا يتأتى ان يؤدى وظيفته وهي توليد المعاني وانتزاعها من بين تلك الصور

ونشاط الجسم والعقل يتعلق ببنية الشخص وتربيته . ونحن لا يكاد يكون لنا سلطان على البنية ولكن لنا سلطان قوي او ما يقرب من ذلك على التربية . فان كانت البنية سليمة امكننا ان نحافظ على صحة الجسم بالتمرينات والاشغال المادية التي تبعد عنه الكسل . وان نحافظ ايضاً على نشاط العقل بالتعويد على التفكر والتأمل والمطالعة كل يوم . واذا نشأ الطفل على هذه العادة فلن يتركها

ونحن معاشر المصريين قد اهملنا تربية الجسم وتربية العقل معا . اما الاولى فلاننا لم نعتد من الصغر علي التمرينات التي يستعملها الغربيون . واما الثانية فاننا لا نحسب الا انه يلزمنا

الاجتهاد حتي نحصل على شهادة تفتح لنا ابواب الوظائف حتى اذا بلغنا هذه الامنية لم يبق علينا بعد ذلك شيء آخر

يقول الاوربيون كثيراً ان المصري من السنة السابعة من عمره الى سن العشرين يضاهي الاوروبي فى الفهم والحفظ والنشاط ولكنه بعد ذلك يأخذ فى التقهقر شيأ فشيأ حتى ينسى ما تعلمه ويسقط فى مهواة الجهالة والخمول التي فيها جنسه

وهذا الرأي مهما كان قاسيا بالنسبة لنا فهو صحيح من جهة وباطل من جهة اخرى . اما بطلانه فلانهم يريدون ان يحكموا على الجنس المصري باجمعه فى الحال والماضى والمستقبل بانه غير قابل للارتقاء لوجود عاهة طبيعية اختلفوا فى تشخيصها . وهو زعم لا دليل عليه بل التاريخ اعظم شاهد على بطلانه

واما كونه صحيحاً فلان المشاهد ان المصرى لما يكون في زمن التعليم يستفيد كثيره منه . وفى بعض الاحيان يفوق التلامذة اقرانه من الاجناس الاخرى . بل كثيراً ما نبغ التلميذ المصرى هنا وفى أوروبا وبرهن على ذكاء متوقد . ولكنه متى اتم دروسه واخذ شهادته وانخرط فى سلك موظفى الحكومة طوى الكتب وهجر العلم وظن ان زمن التعلم قد انقضى وانه لم يبق مستعداً ومتهيئاً الا لأن ينال وظائف سامية ومرتبات فائقة . فاذا مضى عليه زمن يسير وهو على هذه الحالة ضاعت القواعد

التي كانت تملأ ذهنه وتبخر علمه وطار فى الهواء ولم تبق لديه الا كليمات يظنها معاني وقطع من جمل واجزاء من عبارات واصطلاحات محرفة تكفيه اذا نطق ان يوصف بالجهالة ويرمق بعين الازدراء والاحتقار

وعلى عكس هذا القياس نرى غيرنا من الامم الاخرى فان المتخرجين من معاهد التعليم فيها يجهدون انفسهم بعد انتهاء دراسة التلمذة اضعاف ما كانوا عليه زمنها فيتقنون بذلك الفرع من العلم او الفن الذي اختصوا به دائبين على البحث فيه متطلعين الى ما يقال او يكتب فيه . لانهم يعلمون ان العلم لا يقف عند حد وانه دائماً في تبدل او تقدم

السائح

اسباب ونتائج

١٣

عيوب تربيتنا « احساس الاحترام »

احساس الاحترام هو محك التربية فكلما كان نامياً في أمة كانت تربيتها جيدة واذا فقد كان فقدانه انذارا بانحلال جامعتها وسقوط ابهتها وعظمتها

وان اهم شيء يحفظ الامم ويزيد فى رفعة شأنها هو احترام جملة امورها الجوهرية الاساسية مثل الدين والوطن والسلطة

العمومية والعائلة والعلم والفضيلة وكل عمل شريف او جميل او نافع

واذا كان هذا الاحترام عاما عند الجميع وشاملا لجميعها كان دليلا على قوة تربية الامة حيث لا يجرأ على مخالفة هذا التيار القوي الا نفر قليل

ونحن معاشر المصريين ويالاسف لا نحترم وطننا ولا نعرفه وكثيراً ما نتكلم عنه بالاستخفاف والاحتقار ونحكم عليه كما نسمع من الاجانب الذين لا يمكن ان يعرفوه كوطن لهم بحال من الاحوال وفاتنا ان كل عيب منسوب له هو منسوب في الحقيقة لنا . حتى أن كلمة { فلاح } التي كان الاتراك يستعملونها في مقام الذم عند ما كانوا يتكلمون عن كل ما هو مصري اتخذها المصريون عنوانا على احتقار بعضهم بعضاً

ومن هذا القبيل ايضاً نرى بعض الاشخاص الذين ولدوا فى هذه الديار من آباء ولدوا فيها بعد ما ترك اجدادهم بلادهم ولم يبق لهم أمل في العودة اليها يجتهدون دائماً في ان يثبتوا انهم من اصل تركى أو سوري او عربي ولا يكادون يعترفون - وخصوصاً امام الاجانب - انهم من ابناء البلاد التي يرتعون في خيراتها ويعيشون من نعيمها

وبديهى ان المصريين لو كانوا يحترمون وطنهم لما تجاسر أحد على تبرئة نفسه من الانتساب اليه كما يدفع المتهم نسبة الجناية اليه عنه

وانا لا اقول انه لا توجد فى الامة المصرية عيوب كبيرة قل ان يوجد مثلها في أمة أخرى . ولا انه لا يباح للمصري أن يذكرها ـ ونشر هذه الجمل في هذه الجريدة يدل على عكس ذلك وعلى وجوب انتقاد عيوبنا بنفسنا وعدم اخفاء شيء منها حتى لا نغفل عن تلافيها اذ ذلك اولى من ان يلقيها يوما ما في وجهنا عدو لنا ـ ولكن اقول انه لا يباح لانسان يحترم نفسه ان يخجل من وطنه ولا ان يغضب عليه الا كما يغضب الولد من ابيه غضباً ممزوجا بالاسف والحنو

اما السلطة العمومية فما عهدنا لها احتراماً في نفوسنا لا في الماضى ولا في الحال . اذ فى الماضي كان المصريون يخشونها ويرهبونها اشد الرهبة حيث كان مبدأ معاملتها الظلم والقسوة . واليوم اذا اعتدل مبدأ السلطة انقلب الخوف بناء على حركة رد فعل طبيعى وبمحرضات أخرى الى استخفاف . وكلاهما بعيد عن الاحترام الذي يلزم ان يكون متبادلا بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة

فاذا توفر هذا الاحترام من الجهتين من جهة الحكومة بالتفاتها الى راحة الامة والاعتناء بسماع ندائها وتنفيذ رغباتها كما ينبغي وبحسب الامكان . ومن جهة الامة بان تثق بوكلائها ولا تتأخر عن طلب الاصلاحات التى تراها لازمة لها وتغيير القوانين التي تراها مضرة بها بلا تردد ولا خوف . وتقدر اعمالهم حق

قدرها ان كانت مفيدة فتشكرهم عليها وتنبههم ان اخطأوا وتشجعهم على الاستمرار في الخطة الموافقة للمصلحة العامة حتى يكون ذلك لزاماً لهم كان ذلك من اهم اسباب سعادة الامة

والعائلة - يلزم ان يكون اساسها الاحترام . ونحن مع الاسف نرى الروابط العائلية عندنا قلما تكون محترمة وكثيرا ما يتغلب عليها هوى النفس . فليس بالنادر ان يتزوج الرجل امرأة وتلد له اولادا ثم يتركها واولادها ويتزوج سواها وقد يترك هذه حاملا ليأخذ غيرها كذلك . وهكذا يقضى حياته فى تشييد بناء عائلات وهدمها بدون أن يتعلق بواحدة ويعيش فيها مع زوجته وأولاده لانه لم يفكر الا في لذة دنيئة لا تذكر فى جانب الاضرار التى تنجم عنها

وان اهم الاسباب الهادمة لاحترام العائلة هو الطلاق - وهو ابغض وجوه الحلال الى الله - وقد اعتاد اهل بلادنا استعماله بطريقة شائنة جداً لا يمكن ان يرضاها الشرع أو يسلم بها العقل

نعم ان شريعتنا الغراء جعلت بقاء العصمة بين الزوجين على مبدأ الحرية فكان الرجل مالكا لامر الطلاق وهو حر فيه . ولكن هذه الحرية ما اعتبرت مبدأ له الا لانه ليس فى الوسع حصر الاسباب التى تستدعى حل رباط الزوجية وعلى الخصوص حتى لا يكون الرجل ملزماً بالافصاح عن هذه الاسباب . وحاشا أن

تقصد شريعتنا الشريفة تسهيل قضاء الشهوة البهيمية على الشرهين فيها ليشغلوا انفسهم بالتمتع بالنساء واحدة عقب الاخرى ويتركوا اولادهم هملا شرداً في الطرقات بلا مأوى ولا نفقة ولا تربية

واقبح شيء شائن في اخلاقنا هو اعتياد الازواج على الحلف بالطلاق كلما نوقشوا في شيء حتى فيما لا علاقة له بالزوجية على الا طلاق . ولو اقتفينا أثر رجل من أصحاب هذه العادة الذميمة يوماً من الايام واردنا حصر اعداد الطلاق في الايمان الكاذبة التي يلفظونها بهذه الطريقة السخيفة لوجدناها تفوق حد النصاب الشرعي تكعيبا وجذرا ثم جذرا وتكعيبا وهكذا . وهو ما ينبغي ان يستدعى التفات الحكومة والعائلة معا الى هذا الامر المهم الذي له اعظم مساس بالهيئة الاجتماعية

فعلى الآباء ان يحترموا انفسهم أمام اولادهم ليأخذ هؤلاء عنهم مثل المحبة والصفاء حتى تتربى نفوس الناشئين على ملكة الاحترام وتصبح العائلة كما يجب ان تكون لا كما هي الآن : ميدان يتخاصم فيه الاهل ويتشاتمون وقد يتضاربون ويفترقون

ونحن كذلك مجردون عن احساس الاحترام للعلم والفضيلة ولذلك لا نميز في المعاملات بين صاحب الفضيلة وصاحب الرذيلة بل في بعض الاحيان قد يكون احترامنا للثاني اكثر من الاول

على ان المدنية الصحيحة تعتبر اكبر مكافأة لمن عمل عملا

صالحا أن يحترمه الناس . واكبر عقوبة لمن يعمل العمل الخبيث أن يحتقروه

ولا يمكن ان تصير الفضيلة مطلوبة مرغوبا فيها والرذيلة ممقوتة مبغضة الى النفوس الا اذا احس الناس بقوة حكم الرأي العام وسلامته . ولا يوجد شيء يبرهن على فساد أخلاق الامة اكثر من ضياع احترام الفضيلة فيها. اذ لا شيء أقرب للفضيلة من احترام الفضيلة

وكأننا نحن لا نريد أن نعترف لاحد منا بالفضل : نرى شيوخنا يحتقرون الشبان ولا يثقون بمعارفهم وأعمالهم . ونرى شباننا يهزؤون بالشيوخ ولا يثقون بتجاربهم فيرمونهم بالجهل ويحسدونهم على وظائفهم - ان كانوا من أصحابها - ويزاحمونهم في الاقوال والاعمال ولا يتأخرون عن أن يتسوروا أكتافهم ليخرقوا الصفوف بغية الاستيلاء على مراكزهم

السائح

اسباب ونتائج

١٤

« الامهات والتربية »

اذا كان للأم المحل الاوّل فى التربية كما بينا فهل يصح ان تكون هي نفسها مجردة من كل حلى التربية ؟

وانى ليؤلمني أن اكتب حرفا واحدا ليس فيه معنى الاحترام العظيم لكل والدة لان الاحترام والامومة فى نظري شيآن لا يسوغ فصل احدهما عن الآخر . ولكن للحقيقة سلطان يصعب على كل ذى نفس أن لا يحس به وأن لا يخضع لحكمه

وعلى ذلك فاراني مضطراً ان أجهر باعتراف يشق عليّ كثيرا ألا وهو ان الام المصرية لم تهيأ مطلقاً لان تقوم بوظيفتها في العائلة وكاننا استغنينا عنها بوجود الاب وهو خطأ عظيم . لانه فضلا عن كون الام صاحبة الحصة الاولى من تربية الطفل في المدة الاولى من عمره فوجود الاب نفسه بجانب الطفل ليس مضمونا اذ قد يحرم منه بموت او بانفصال الوالدة عنه فتصبح الام رئيسة العائلة (او الحاضنة الشرعية لولدها) وعندئذ يقع على عاتقها الحمل الثقيل الذي كان ينوء به ظهر زوجها فتكون هي المكلفة والحالة هذه بالقيام بشؤون واحتياجات المنزل وطلب الرزق وادارة الاموال وتربية الاولاد

ولما كانت الام في بلادنا مجردة عن كل تربية عقلية أو أدبية كان تأثيرها لغاية الآن على الاولاد رديئاً سيئاً وكانت هى السبب في عدم نجاح القليل من التربية التي يكتسبها الطفل من والده ومن تعليم المعلمين

واذا صرح لي أن أبدي كل فكري أقول ان الأم في بلادنا

صارت مدرسة ثانية عملها الوحيد مكافحة كل ما يتلقاه الطفل من سواها. وقد يحتار هذا الضعيف المسكين بين من يصدق ومن يكذب ومن يتبع ومن يخالف. الا أن مدرسة الام لا شك فائزة على كل حال. لان الطبيعة تشتغل معها وتساعدها بما أودع الله في نفس الطفل من الميل الى الوالدة ولانه يعاشرها أضعاف ما يعاشر غيرها

ويكفي الواحد منا أن يلتفت الى الوسط الذي هو عائش فيه الآن ثم يرجع بفكره الى عهد شبوبيته الاولى فمهد طفوليته ليحكم بنفسه أن حالة الامهات لا يمكن السكوت عليها والاستمرار على قبولها وانها لا تناسب حاجات الوقت ولا تتفق مع ضالتنا التي ننشدها ونوجه لتحقيقها كل مساعينا وآمالنا

ليس بين الامهات الا عدد قليل جداً يعرف القراءة والكتابة. وليس بينهن واحدة لها المام ولو سطحياً بمقدمات اي علم من العلوم او فن من الفنون. وهي فوق ذلك جاهلة بكل احوال الدنيا ولا تدري شيأ من المعاملات والتجارة ولا من نظامات وقوانين البلاد التي تسكنها فضلا عن الالمام باي شيء من احوال البلاد الاخرى. وهي مع رفيقاتها من النساء عالم مستقل بذاته لا يجمعه بعالم الرجال فكر او عمل. وامة داخل الامة لها اخلاقها وعوائدها ومعتقداتها. وفي الحقيقة انهن آثار عتيقة لاجيال مضت وبقايا ازمنة بعيدة. وقد

كنا نحن" على حالتهن" الحاضرة من ثلاثمائة سنة واكثر . ثم تقدمنا وارتقينا وهن باقيات على ما كن عليه في تلك الاوقات

قلنا انهن آثار عتيقة لازمان خالية ولكنها آثار حية غير بالية لها عمل وتأثير على عكس ما نريد . فهن لا يروقهن شيء من افكارنا كما لا تعجبنا افكارهن

هن يعتقدن ان قواعد الصحة اشياء باطلة . وان دواء الطبيب لا يؤثر على الامراض. وان الحركة والسكون فى ايدي الاولياء والمشايخ والجن والعفاريت

فاذا مرض الولد بادرت الام فاخذت (اثره) واسرعت الى الشيخ المشهور فيأمرها باستعمال بخور او يكتب لها حجابا .ولا شيء فى الدنيا يمنعها من اتباع رأي الشيخ وهي تمنع كل شيء سواه. فكيف يمكنها مع هذا ان تحافظ على صحة ولدها وكيف تمنع عنه الخرافات التي تفعل فى عقله ما يفعل السم في البدن ؟

ان الام لا يمكنها ان تبعد ولدها عن صفات الكذب والتحيل والغش والحمق والكسل والسفاهة اذا كان لا يخطر بفكرها ان هذه العيوب تبقى عند الطفل متى اعتادعليها بل ولا انها عيوب شائنة

وهى لا يمكنها ان تنصحه او ترشده او تشجعه على دراسته او شغله اذا كانت لا تعلم شيأ منها ولا تتخيل في ذهنها منفعة الشغل والمطالعة

فهي نفسها طفل كبير لا تزيد عن ولدها الصغير من جهة العقل ولا من جهة العواطف ولا تختلف عنه الا فيما ينتج حتماً من اختلاف السن بينهما . فهو يحب اللعب وهي تحب اللغط وكثرة الكلام . وهو يحب الحلوى وهي تحب شرب الدخان والقهوة . وهو يضرب اقرانه بيده او بالعصا وهى تضرب قريناتها بحد لسانها . ومتى خرجت من هذه الدائرة الصغيرة فهي لا تستطيع ان تفهم كلمة ولا ان تعبر عن معنى

ومن الاسف اني شاهدت بنفسي مرات عديدة صبية يختلف سنهم بين ١٠ و ١٢ سنة وسمعتهم يتكلمون عن والداتهم بما يقرب من الاحتقار والازدراء ويسخرون بما تقوله لهم وما تفعله معهم . فاذا كان الصبي قبل أن يبلغ رشده يرى نفسه - وله الحق - أرقى من والدته فليت شعري ما يكون مع هذا حال الام ؟

ولعله لهذا السبب عينه ترى الامهات ترمين دائماً اولادهن الذكور بالخسة وعدم الوفاء اذ يرونهم يميلون الى آبائهم اكثر من ميلهم اليهن . ولكن لو كان عند الامهات قليل ادراك لعذرن الابناء . اذ هم يألفون بالطبع من يفهمهم ويفهمونه. وهم يشعرون ولا ريب بأن آباءهم أرقى منهم . يجاوبونهم على كل سؤال بما يتحقق منه الابناء ان آباءهم يعلمون ما يعلمون هم واكثر منه فينجذبون

الى معاشرتهم والاختلاط معهم اكثر من أمهاتهم . والبنات بعكس ذلك

ونتيجة ما تقدم كله ان الرجال في مصر محرومون من اكبر لذة تقتضيها الحياة : الا وهى محبتهم لوالداتهم وبناتهم واخواتهم بقدر ما ينبغي .

وليس مرادي اننا صرنا الى حالة نكره فيها اقاربنا النساء او أننا مجردون عن الحنو لهن . ولكنى أقول ان المحبة الجوهرية التي تكون من اتحاد الفكر واتحاد الاحساس - هذه المحبة الحقيقية الكلية التى تمزج الشخصين وتجعلهما شخصاً واحداً . هذه المحبة التى نتمتع بها حتى مع الصديق الاجنبي عن عائلتنا عندما نأنس معه بالحديث فى الجهر وبالسكوت فى السر كانما الارواح تناجى بعضها وتتواحى باشياء لطيفه - لا يمكن ان توجد بين رجل وامرأة مصريين

فاذا أردنا ان نتحصل على أمهات محترمات يلدن رجالا ينفعون أنفسهم وأوطانهم فما علينا الا ان نبادر بتربية البنات ونصرف فى سبيلها اكثر مما نفعله . او على الاقل مثل ما نفعله فى تربية أبنائنا

(السائح)





١

(الموظف فلان بك)

لم يأت وقت على مصر فشت فيه المنافع الشخصية بين الموظفين واستعملت فيه الدسائس لقضاء الشهوات والانانية الدنيئة مثل هذه الايام التى يعدها بعضهم عصراً جديدا لتقدم المصريين

نعم حدثت نهضة خفيفة فى قوة التميز واستعدت العقول للبحث عن الحقيقة المطلقة علمية كانت أو ادبية أو سياسية ونمت القوة المدركة قليلا بقدر ما يلوح الفجر . ولكني اقول والحزن يملأ قلبي ان أخلاق الموظفين وعلى الخصوص الكبار منهم لم تتقدم عن ذى قبل بل هي تقهقرت تقهقراً بينا

ومهما كان اثبات امر من هذا النوع مخجلا فقد رأيت من الواجب علىّ ان اطرق باب البيان في هذا الموضوع عل الذكرى تنفع المؤمنين

وان من يتأمل فى حركات الموظفين يشاهد منظراً عجيباً ذا فصول متقنة التمثيل لنوع أخلاقهم وفصول تتحدد فى كل آن

بطرق مختلفة وقد أحببت ان أقربها بالبيان لافهام اخوانى المصريين الذين يحول بينهم وبينها ستار المناصب فأقول :

هذا الموظف « فلان بك » الذي يرشح نفسه فى كل يوم ثلاث مرات مرة عند الجناب الخديوي ومرة عند قنصلاتو انكلترا ومرة عند احد النظار العاملين

وهو رجل مشهور عند القوم . ومن أين جاءت له هـذه الشهرة ؟ من غفلتنا جميعا . لاننا نحكم عليه بما نسمعه عنه منه فيقول لنا أنا صنعت كذا وكذا وقلت كيت وكيت وطلب منى فـلان العظيم ذلك الشيء فامتنعت واجبت فلانا الباشا بكذا . ووبخت المستر فلان على فعل كذا . وهلم جرا . ونحن السذج البسطاء نصدق ذلك ونعتبر ما يقوله حقاً مطابقاً للواقع . فيلذ لنا بعد ذلك أن ننشر عنه تلك الفضائل ونؤسس شهرته بأيدينا ونحسبـه من الافراد الذين يعدون على الاصابع والذين يدخرون لوقت الحاجة

نراه اذا كان في مجلس تحقق انه يكره الانكـليز أول من يذمهم . واذا وجد نفسه فى جمعية انكليزية كان أول من يذم أبناء جنسه . صادفته مرة بين قوم من الفرنساويين يقول لهم آه لو كان الفرنساويون هم الذين دخلوا بلادنا لكنا أسعـد الناس . فان المصري ميال بطبعه الى الفرنساوى ونحن نعتبر ان كل تمدننا هو عمل الامة الفرنساوية .. .. وسمعتـه مرة أخرى بين جماعة من الانكليز

وقد فتح أزرار قلبه فى خطابه لهم يناجيهم : أنا أقول لكم فكري بالصراحة ولا أخشى من مخالفة أغلب المصريين لرأني . أنا اعتبر من حسن الحظ لبلادي ان فرنسا احجمت عن الدخول في مصر وان الامة التى احتلت وطني العزيز هى الامة الانكليزية العظيمة الشأن لانني لا أنسى أبداً ما فعله الفرنساويون في مصر عند ما احتلها بونابرت

يقول للسوري انه لا يفهم معنى كراهية المصريين لهم وانه لا يحب التمييز مطلقا بين أفراد أمتين تجمعهما جامعة واحدة .

ويقول للقبطي انه ممن يبغض السوريين ويعلم سر كراهية المصريين لهم لانهم أجانب . ولكن الاقباط والمسلمين أمة واحدة فيلزم أن يتحد الفريقان ليستأثرا بمنافع بلادهم الخ

وعلامة هذا الموظف المشهور هي انه متى وجد في مجلس لا بد وان يترك له أثراً يذكر به بعده فى نفوس بعض الحاضرين ان لم يكن كلهم وعلى الاقل المهمين منهم . والاهمية عنده تكون على الترتيب الآتى فى الظروف الحاضرة :

الانكليز . ثم الاوربيون عموما . ثم الاقباط . ثم السوريون . ثم نصارى الشرق على العموم . ثم اليهود . ثم المصريون المسلمون

هذا الشخص يظن أن علم السياسة العملية هو غش الناس بكل وسيلة . ومن الغريب انه يحفظ لنفسه مكانة بهذه الطريقة

ولا يكشف حقيقة أمره الا نفر قليل اذا تكلموا ضاع صوتهم الضعيف كما تضيع قطرة الماء فى الاوقانوس الاعظم

أيحب الناس من يغشهم دائماً ؟ أم قوة التميز لا تزال ضعيفة فيهم ؟ انني لا أعلم أيهما حقيقة الواقع

ومن ذا الذي يعلمني ان رجلا غشاشا يكره الناس ولا يريد لاحد مطلقاً الخير - لا يحب الا نفسه . ولا يهتم الا بمنافعه الشخصية . ان رجلا يده مغلولة الى عنقه وقلبه جاف لا يفرح يوما لفرح غيره . ولا تدمع عيناه لاحزان اقرب الناس اليه . ان رجلا يهزأ بالناس كلهم حتى يتخذهم آلات لقضاء شهواته واطماعه - يستطيع ان يعيش محبوبا محترما مشهوراً بين قوم متمتعين بقواهم العقلية ؟؟؟ !!!

هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقاً



اخلاق ومواعظ

٢

« الموظف وانا مالى »

هذا الموظف كثير العدد في مصالح الحكومة ومنتشر في جميع طبقاتها الكبيرة والوسطى والصغيرة انتشار الذباب في الاماكن القذرة

يذهب فى الصباح الى الديوان حتى اذا دخل فى قاعة شغله وجلس على كرسيه أخرج من جيبه علبة السجاير وأحرق واحدة منها . وفى خلال ذلك تأتيه القهوة فيشربها رويداً رويدا ثم يتثاءب ويتثاءب . ويتثاءب . وبعد ذلك اما ان ينتقل الى مقعدة ليضطجع ولو نصف اضطجاع . واما أن يمن الله عليه بالزائرين وينفتح باب المقابلات ويدخل عليه الطالبون والملحون ومن تبادل معهم من الامس وعد مجيئهم الى الديوان من الاصحاب والمحسوبين عليه ومن استدعاهم لقضاء مصلحته كجزار يحاسبه ، او طباخ جديد ليجربه ، أو مرضعة لنجله تطالبه فيلقون منه ما تقتضى شعائر المودة والبشاشة والوعود حيث يخرجون واحداً بعد آخر ممتنين شاكرين . وتراه في أثناء ذلك كأنما نشط من عقال : غاب كسله . وذهب تثاؤبه . يتبسم مسروراً . لا يأنف من شيء . ولا يمل من انسان ـ الا اذا كان طالبا ملحاً ـ يحكى بكل تلطف ويسمع بغاية الحلم . لا يستعمل قط حرف (لا) لانه نفى قاطع . ولكنه يعد ويعد ويعد بعبارات لا ترفع الامل ولا تستوجب اليأس ولو كان ذلك الامر مستحيلا : مع انه يكون مصمما على أن لا يفعل ولو كان الطلب ممكنا وسهل المنال

ولكن انظر اليه بامعان متى دخل عليه أحد المستخدمين بورقة يريد عرضها عليه . تشاهد تبسمه قد غاب ووجهه تقطب

وجاهد فى استحضار قواه ليسمع ما يعرض عليه ويعي - وأني له ان يسمع ويعي - فيقول المستخدم المسئلة مرة ومرتين وثلاثا متفننا فى طرق التفهيم عساه يوقظ الفكر النائم - وهو ليس هنا -

ثم يلاحظ ان من حوله شاخصون ساكتون منتظرون فيتدارك الامر ويجيب باي عبارة صادفت أولم تصادف . وربما حوله على فلان المرؤوس له بحجة انه مشغول الآن . او امره بارجاء عرضها الى وقت آخر لانها مهمة او غير مهمة فيخرج المستخدم المسكين كما دخل والمسئلة باقية وعليه صرفها بأي طريقة كانت

لو سألته لماذا ترك مسئلة مهمة أو لماذا لم يعارض فى امر كان من الواجب والنافع ان يعارض فيه . أجابك يا أخي ما ذا اصنع ؟؟؟ الانكليز ... الخديو ... النظارة ..

فاذا ألححت عليه ساق الحديث الى اختلاف الجوّ بين أوربا ومصر . او الى كدورة الهواء . او الى اشتغاله بانحراف صحة اهل بيته .. او الى بيت لطيف تذكره من قول أبي نواس

واكره من هذا النوع على الخصوص « الموظف وانا مالي » النشار الذى يفهمك انه قال وعمل ما يجب ان يعمل

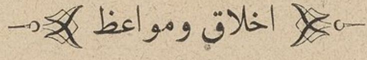
يقول نعم انا ما سكت . واستلفت أنظارهم الى جميع اطراف المسئلة وشرحت لهم جميع نتائجها وما يترتب على عملهم من المضار . ولم اتأخر برهة عن اقامة الحجة عليهم بكل ما وسعني . واظهرت لهم

بالصراحة انني لست مشاركا لهم في الامر وانهم يعملون على نقيض مبدئي بالمرة - ثم يختم كل عباراته هذه بقوله حيئذ : وأنا مالي !!! . مع انه في كل ذلك لم يكن قدنطق بكلمة واحدة

يقابلك بغاية اللطف وحسن المحيا والاشارات المطيبة للخاطر فتظنه شريكك فى الاحساس حتى اذا قصصت عليه شيأ مما يشغلك الفيته بعيدا عنك . أبعدمن ساكنى القمر اليك . وترى اذا امعنت النظر فى وجهه كأنما رسمت عليه هذه الكلمة باحرف جلية : وانا مالي ، وانا مالي . وانا مالي

آه لو لم يكن مطلوبا منه ان يتكلم في بعض المسائل الخطيرة لكان « الموظف وانا مالي » سعيدا، سعيدا، سعيدا

ولذلك تشاهده ما سعى ولن يسعى الا على وظيفة لا تكون ذات أهمية الا في مرتبها . ومتى ادركها طمحت نفسه الى غيرها اهم منها من جهة المرتب ايضا . وهكذا يستمر متنقلا من مرتب مهم الى اهم منه حتي يأتي اليوم السعيد الذي يناديه في كل آن فيحال على المعاش بمبلغ مهم جدا جدا جدا


اخلاق ومواعظ


٣

« الموظف الغاش بوطنيته »

كنت يوما في منتدى جمع بين جماعة من خيار الموظفين والشبان الاذكياء الذين يدأبون على المطالعة ويحبون الجد والنشاط

في الاعمال ممن يربطني واياهم اتحاد الفكر وتجمعني معهم وجهة الاحساس والشعور بحاجة جامعتنا . فدار الحديث بيننا على تعيين أحد رفقائهم في وظيفة عالية وقد اتفقنا جميعاً على ان هذا التعيين يكون مجلبة خير كثير للبلاد . ثم مضت على ذلك ستة أشهر او حوالي ذلك واتفق أننا اجتمعنا مرة أخرى وقد دار الحديث على ذلك الموظف ـ الذي لم يزل في وظيفته العالية ـ فاتفقنا جميعاً على ان تعيينه كان مجلبة شر كثير للبلاد

وذلك ان هذا الموظف كان دائماً يتأوه معنا علي حالة الانحطاط الاجتماعى من حيثية الاخلاق التي نحن فيها . وكان يقول كما نقول نحن ان اكبر اعداء مصر هم المصريون الذين نسوا واجباتهم نحو وطنهم واعتبروا ان الوظائف ما خلقت الا لكي تخدمهم لا لكي يخدموها . وكنا قبل تعيينه نحكم عليه حكمنا على انفسنا لانه كان مثلنا يرى من الواجب على الموظف ان يقوم بالمسئولية الملقاة عليه حق القيام. بل كان يزيد علينا فى الرأي بان هذا الواجب يتعلق بالموظف ايا كانت الظروف والاحوال على درجة واحدة حيث كنا نختلف معه من هذه الوجهة ونقف بالواجب فى كل حالة عند الحد الذي يناسبها بالحكمة والاعتدال . بمعنى ان الانسان لا يلزم الا بالواجب المستطاع أداؤه في كل وقت بلا مغالاة ولا تقصير . لان السير الحسن فى الواقع ونفس الامر هو مايترتب عليه نفع للوطن

ولو كان مذموماً عند بديهة النظر بين الناس . وان السير القبيح هو على العكس من ذلك بشقيه . ومن هذه الوجهة كان يطول بيننا وبينه الجدال ساعات ما احلاها لو تعود كما كانت عليه

ولكنها لا تعود :فقد ثبت عند الخاص والعام ان الوطنية كانت لدى صاحبنا هذا كلمة كغيرها يلفظها اللسان من اطراف مخارج الحروف فلا يعرفها القلب . كانت معدة لديه قنطرة ليجتازها بقدميه توصلا الى مكان مقصود له بالذات . كانت قلعة اختارها للدفاع عن نفسه من مهاجمة اعدائه . كانت راية تتبعها شهوات دنيئة وكان التفافنا حولها خطأ

على ان غاية ما كنا نؤمله في وطنيته ان ينهج خطة الرشد في العمل ويألف مقال الحق ويشتغل على قدر ما تجود به قوته وتسمح به استطاعته . وان يساعد ابناء جنسه ويوجد لنفسه بعمله ونشاطه ويقظته وحسن سياسته مركزاً يجعله انسانا فعالا نافعاً خادماً اميناً لابناء وطنه

فلما وصل الى حيث كان يرمى صار مثل كل جبان نذل يحب ذاته ويعبد انانيته . لا يهتم ولا يتحرك الا لصيانة مركزه الخصوصي وتحسينه ومحا من ذاكرته - محوا نهائياً - تلك الاقوال الجميلة الشائقة التي كان يطنطن بها عند ما كان الحديث يدور على اعمال الغير . بل

صار مستحقاً للاحتقار اضعاف ذلك لانه غش الناس واستعمل الحيل لايهامهم انه يحرز شمائل وصفات لا يوجد ظلها في الحقيقة عنده : واني لفي حيرة من امره

ما الذي حمل هـذا الرجل الذي توفرت لديه وسائل واسباب كثيرة تمكنه من ان يعيش راضياً مرضياً عنه و محترماً على ان يسلك طريقاً لم يكسبه الا المعرة ؟!!!

فهو متعلم ونبيـه . ذو قدرة على الفكر والعمل . . لو ولد انكليزيا او فرنساوياً او المانيا - بل او بلغاريا اوارمنيا - لما وضع صفات التعلم والنباهة والقدرة على الفكر والعمل فى غير خدمة ابناء وطنه . فهل عيبه الوحيد انه ولد مصرياً فلم يفكر الا في خدمة نفسه ؟ ؟

على ان الجمع بين الخدمتين ليس محالا ولا متعذر الحصول : فقد راينا فى جميع بلاد الدنيا ان الانسان قد تكون عنـده شراهة في حب جمع المـال والكسب وشغف بنوال الالقـاب والرتب والوسامات ، ولكنه مع ذلك كله يحب وطنـه ويعمل لتقدمه ويساعد اخوانه ويكره اعداءه واعداء وطنه

فلماذا يا ترى يخالف الموظف المصري غيره حتى يعتبر ان منفعته الخصوصية يلزم ان تكون فى جميع الاحوال مضادة للمنفعة العمومية ؟ ؟ ؟

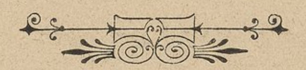
كيف يتصور ان رجلا - تلقى العلم عن اهله وتربى على اجود

قواعد التربية المتبعة فى احسن الممالك وعاش في وسط فيه حب الشغل والعمل نام وشاهد احوال الامم الاخرى وراى تنافسها لبعضها فى سبيل الترقي واحتك برجالهم العقلاء - يرضى لنفسه عيشة الخمول والكسل، لا تحركه غيرة ولا يهزه احساس، ولا تستنهضه غاية شريفة يسعى وراءها

وماذا يكون بعد هذا الحال ؟ .. زيد خلف عمرا وبكر خلف زيدا . الخ . الخ . وقال كلهم نحن نأتى بما لم يستطعه الاوائل قبلنا . نحن ندري كيف نخدم وطننا . كيف نذود عن حقوق اهلينا . كيف نحفظ لجامعتنا شعارها وذمارها ودثارها . فلما جلسوا على الكراسي المذهبة . وتناولوا المرتبات الوافرة . وتصدروا في المجالس بحيثيات مناصبهم . ورأسوا الموائد في الولائم والمآدب قالوا لانفسهم انها لعيشة جميلة فلنتمتع بها ، واما بعدنا فلا نزل القطر :

ألم يفكر المصريون فى عواقب هذه المخازي ؟

ألم يسمع هؤلاء المغرورون ان بعض الاجانب الذين يحبون مصر يقولون جهارا : « اذا كان أبناء هذا العصر هم كما نرى فنحن نفضل عليهم آباءهم واجدادهم »



أخلاق ومواعظ

٤

« الموظف السياسي »

اذا كان المقصود بالسياسة الدأب على ارتكاب الاشياء الدنيئة كما عرفها (رشليو) المشهور فذلك الموظف يكون جديراً بأن يسمى سياسيا . لانه ماهر فى فن المداهنة واستمالة الخواطر واختلاس الثقة من صدور الناس والدخول فى دائرة مودة ولاة الامور بالالحاح والعنف والسقوط على أسرارهم الى اعماق الضمائر حتى اذا اخذ كل ما يريده منها كانت له سلاحا يستعمله عند الحاجة لقضاء مآربه

يقول مالا يعتقد ويعتقد مالا يقول ، ويتظاهر بالشفقة على ذويه وباغاثة المظلومين ومساعدة الضعفاء ، ويهتم دائماً لان يكون له ملاذ قوى يلجأ اليه عند الضرورة ، وحزب يتقوى به عند الحاجة الى استعمال القوة الذاتية ، ومحاسيب يستعين بهم كوسائل لمطالبه

عرف الناس جيداً ووقف على أخلاقهم فوضح له ان اكثرهم يفضل كلمة حلوة - ولو لم يعقبها عمل نافع - على أنفع الاعمال مجرداً عن تلك الحلاوة . فحقق من ذلك ان لفظة عزبة وحركة ناعمة تكفيان لان يؤسس عليهما شهرة سامقة وسمعة فائقة !!!

ولا أقول انه لا ينفع احداً مطلقاً . وانما اقول لا ينفع

الا نفراً من الناس يرى فيهم الاستعداد لان يكونوا مماليك فى قبضة يده يتحركون حسب اشارته

أما مبدؤه فعدم المبدأ : كان عرابيا مع عرابي حيث كان رجل الوقت . فلما شام نجمه آخذا فى السقوط تحول عنه وقطع اوداج العلائق معه وانكر بالمرة معرفته

ثم كان أول من اخذ طنبورته وغنى عليها نغمة المديح فى الخديو سيد البلاد . ولكنه لما رأى قدم الانكليز تثبت بعد الاحتلال شيأ فشيأ وسلطتهم تتزايد يوما فيوما انحاز الى صفهم وارشدهم ونصحهم وواصلهم باخبار « آخر ساعه » ، وقدم لهم قوائم باسماء المشبوهين وأطلق على برنامجه هذا « سر الوطنيين »

ثم لما رأى مركز الخديو قد تقوى على اثر تولية مولانا العباس وصار كما يجب ان يكون - أول عامل فى ادارة البلاد - اخذ يقدح في الانكليز من ورائهم ويهجو اعمالهم ويشرح مقاصدهم السيئة حتى حرك النفوس لدى البعض، واثار الشهوات عند البعض الآخر، وبذر الفتن، وجهز الزلازل، ونفخ بفمه ريح العواصف، وعكر المياه فطاب له العيش في هذا الوسط المحشو بالاخطار . وكنت تراه خلال ذلك منشرحا مسرورا كمن آل اليه ميراث جديد وصار في نشاط غريب حتى اوصل سياسة الغش والدهاء الى درجة لم يكن يحدث نفسه بها

وكان يذهب الى كل فريق فيخاطبه بالالفاظ العذبة التي تحلو على مسمعه فتمكن وقتئذ من الايقاع بأشخاص كثيرين اما بنميمة القاها في وسط الحديث، او باستعلامات غير حقيقية اخترعها: ولم يفكر لحظة فى النتائج الوخيمة التى تترتب على هذه الاعمال

وقوة هذا الموظف كونه دائماً متيقظاً وعالما بحركات الناس واميالهم وصفاتهم وعيوبهم . وكونه يشتغل ويعمل دائماً بنشاط وحركة لا يقبلان الملل :

لذلك تمكن من ان يكون ذا مركز مهم ومنزلة سامية بين الناس

يعتبره الاوربيون من ابناء مصر الفتاة الذين يقدرون اوربا حق قدرها ويعترفون لها بالفضل على مصر ويتمنون المعيشة تحت سيطرتها . والذين منتهى آمالهم ان تكون مصر بلدة مختلطة محكومة بحكومة مختلطة

ويعتبره الانكليز رجلا نبيها قد يلزم رغما عن عيوبه في بعض الاحيان لحل المعقود او لعقد المحلول من الامور على حسب مقتضيات الاحوال

ويعتبره المصريون انه رجل ذو دهاء يمكنه ان يؤدى للبلاد خدامات كثيرة وينال من الانكليز بالخديعة والحيلة مالا يناله غيره ولكنه في الايام الاخيرة قد اكتشف كثير من المصريين

الذين يستطلعون دخائل الامور وما يجرى وراء الستار ان سياسة الرجل لا تخرج عن حبل « قره كوز » البسيطة . وان هذه الاوقات الصعبة التى تنتقل فيها البلاد من حالة الى حالة تستدعى رجالا يفهمون منافع الوطن الحقيقية الدائمة ويشيدون آراءهم واعمالهم على العلم لا على الحيل

اولم يكن الاجدر بهذا « الموظف السياسى » ان يستعمل بعض الصفات التي امتاز بها على كثير من غيره فى خدمة بلاده ، وان يسعى الى المجد ورفعة القدر وحسن السمعة من طرقها الحقيقية التي تنحصر في تقوى النفس وعمل الخير ؟

اخلاق ومواعظ

٥

(صاحب المعاش)

ترك الحكومة - او على الاصح تركته الحكومة - وهو اكثر ما يكون في الغالب متمتعاً بقواه البدنية والعقلية . وسواء كان معاشه كافيا لاقتضاء لوازم معيشته او غير كاف . وسواء كان غنيا فى حد ذاته او فقيراً تراه دائماً كشيف البال آسفاً على وظيفته اسفا شديداً لانه يظن - كما اعتاد اهل بلادنا ان يعتقدوا - ان الانسان قليل بنفسه كثير بوظيفته . ولانه يشاهد دائماً ان الواحد عند ما يكون في وظيفة عالية يحترم ويجل مقامه ويزار وتتزاحم العربات

والبغال والحمير على باب منزله الذي يكون مزهراً بهجاً تحييه حركة مستمرة وتحف به حياة طيبة . فاذا احيل على المعاش انقضى كل ذلك واصبح هذا الشخص بذاته مهملا مهجوراً بل ومندهشاً :
كمن رأى رؤيا مفرحة واستيقظ من نومه فجأة

فلما يتخيل صاحب المعاش كل ما كان عليه بالامس وما اصبح فيه اليوم لا يستطيع ان يمنع نفسه من التأثر والتحسر

ولو تذكر وتذكر الناس ان الشرف والمجد لا يصادفان فى طائفة الموظفين الا بنسبة قليلة جدا . وان كل انسان قادر على ان يرقي نفسه بنفسه وان يعلو على اكبر ملك في الدنيا بفضيلته وعلمه ، لما رأى ورأوا فى انفصاله من خدمة الحكومة الا حادثة اعتيادية لا تزيده ولا تنقصه شيأ

ولكن كيف يتأتى وجود هذه الملكة فى امة تصورت انها خلقت ليحكم نصفها النصف الآخر ؟ !!! وعند رجال اذا قلت لهم علموا اولادكم قالوا « انا لا نجد فى التعلم فائدة حيث الحكومة اقفلت ابوابها فى وجود ابنائنا » !!! . كأن العلم لا قيمة له في حد ذاته او كأن كسب المال سهل وحل في الحكومة ، صعب وحرام خارجها

ومما يزيد تألم صاحب المعاش على فراق وظيفته انها كانت فى الحقيقة الشيء الوحيد الذي يشغل اوقاته بها – لا لانه كان منهمكا فى تأدية جميع الواجبات المتعلقة بها – بل لانه اعتاد على ان يمضى وقته

(خطأ مطبعي)

وقع في صحيفة ٨١ تدورك في اغلب النسخ وهذا تصحيحه :

السطر	الخطأ	الصواب
٥	للعمومية	العمومية
٧	اجزخانة	اجزاخانة
١٧	اشتغل	اشتغل الغني
١٨	فقرد	فقره

وصحيح الآية الشريفة الواردة في السطر العاشر من الصحيفة الثانية من المقدمة :

« ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »

بكيفية مخصوصة لم يعد في امكانه استعمالها . ولذلك ترى ارباب المعاشات في حيرة لا يدرون معها ماذا يصنعون لاجل ان يقتلوا الزمان قبل ان يقتلهم . فمنهم من يخرج في الصباح لزيارة من هم على شاكلته يوميا ولا يعود الا وقت الظهر . ومنهم من يقصد القهاوى والاندية للعمومية للعب النرد او ما شاكله من الساعة السابعة صباحا الى ان ينبهه دوى مدفع الظهر ايضا . ومنهم من يجلس على كرسى امام باب منزله او حانوت او اجزخانة ليتأمل فى حركة الشارع نحوا من اربع او خمس ساعات . ومنهم من يقضى اكثر اوقاته معتكفا في المساجد . ومنهم من يطوف على مصالح الحكومة يومياً ليتمتع بمشاهدة السلطة التي حرم منها حيث يجد فى الاحتكاك بأهل الحل والعقد بعضا من اللذة او التعزية

ولم ار فيهم من اوجد لنفسه عملا يشتغل به بدلا عن وظيفته !!

اتعرف ايها القارئ واحداً من ارباب المعاشات الذين يكثر عددهم كل يوم يشتغل في منزله ساعة او ساعتين بتعلم علم يجهله او اتقان فن تعلمه، ومنهم الطبيب والمهندس والعسكري والادارى والمتشرع، وبين جميع هؤلاء الغني والفقير المحتاج ؟؟ فهلا اشتغل لترقية عقله والفقير كذلك او استعان هذا على معالجة فقرد بالسعى فى طلب الرزق ؟؟

ايليق بقوم يطمعون في تحسين مستقبلهم ان يعيشوا فى وسط التنافس العام بالبطالة والكسل ؟؟

ومما يدهش الفكر ويؤلم النفس ان صاحب المعاش يرى من حين تخليه عن المنصب انه لم يبق من الواجب عليه ان يهتم بشيء مما يحصل فيها بالمرة. فاذا سمع خبراً محزنا او نبأ واقعة مكدرة تراه بعيد الشعور بقدر ما هو بعيد عن الوظيفة او بقدر ما هو قريب امل الرجوع اليها . واول كلمة تخرج من فيه « الحمد لله على اني في بيتي وبعيد عن نصب المنصب ». كأنه صار اجنبياً عن البلاد بالمرة . وكثيراً ما يتصامم عن سماع اى حديث يكون موضوعه المصلحة العمومية : لانه لا يحب ان يتداخل فى شؤون الحكومة !!! وقد يفضل على ذلك سماع القصص الخرافية ونوادر الاعصر القديمة التي يحفظها بوعى وذاكرة قوية ليته استعملها لحفظ شيء نافع



صحيفه



مكتبة الترقي

تطلب منها الكتب الآتية

الثمن ص	اجرة البريد ص	اجرة البريد ـ	
٥	١		ارشاد العائلات الى تربية البنات تأليف حضرة احمد افندى الحفنى
٤	١		مرشد العائلات الى تربية البنين والبنات تأليف حضرة حسن افندى توفيق
١٢	٢		النخبة الازهرية جغرافية تأليف حضرة اسماعيل افندى على
٤	١		الدروس الجغرافية لتلامذة المدارس الاميرية تأليف حضرة محمد افندى عبد اللطيف
٣	١		المبادى الوافيه فى علم الجغرافيه تأليف حضرات محمد افندى على دلاور ومحمد افندى زكى واسماعيل افندي على
٣		٢٠	الطريقة الجديدة لرسم الخرط عربى وفرنساوى وانجليزى. عمل حضرة محمد افندى على دلاور
٧	١		الدروس التحضيريه في علم الجغرافيه لتلامذة السنة الرابعة الابتدائية (فرنساوى) تأليف حضرة محمد افندى على دلاور
٣		٢٠	الدروس الاوليه في علم الجغرافيه لتلامذة السنة الثالثة الابتدائية (فرنساوي) تأليف حضرة محمد افندي على دلاور
٥	١		رسالة التوحيد تأليف حضرة العلامة الأستاذ الشيخ محمد عبده المصرى
٥	١		العقيدة الاسلامية تعريب حضرة محمد افندى ضيا

